





ماسات الشيطان

RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـــ الفئران القاتلة ..

هبطت الطائرة القادمة من (إسلام أباد) فى مطار القاهرة الدولى ، بعد رحلة طويلة ، ولم يكد مسافر آسيوى يبدو فى مدخلها ، حاملًا صندوقًا معدنيًا متوسط الحجم ، حتى تقدَّم نحوه رجلان ، كان من الواضح أنهما ينتظرانه بالذات ، وقال له أحدهما فى لهجة آمرة ، وهو يشير بيده إشارة مُبهمة :

ـــ هل تسمح بمصاحبتنا بعض الوقت ؟

بدت على وجه المسافر الآسيوى علامات التوتُّر والارتباك ، وهو يقول :

ـــ إلى أين ؟! .. إننى شخصية محترمة ، أعمل لحساب هيئة أبحاث طبية معترف بها .

التقط أحد الرجلين الصندوق المعدنى فى حركة سريعة ، فى حين أمسك الآخر الآسيوى من ذراعه ، وهو يقول فى خشونة :

ـــ اصحبنا أولًا ، وسنحدِّد هويَّتك فيما بعد .

راودت الآسيوى فكرة الاحتجاج أو المقاومة ، إلَّا أنه لم يلبث أن نحَّاها جانبًا ، بعد أن تبيَّن عدم جدواها ، واستسلم

للرجلين فى صمت ، وهما يقودانه عَبْر (صالة) الجمارك ..
ولكنه لم يكد يلمح لافتة مكتب الأمن ، الذى يقودانه إليه ، حتى تبدَّل موقفه بغتةً ، واستلَّ من طيَّات معطفه سكينًا حادة ، دفع نصلها فى كتف الرجل القابض على ذراعه ، الذى أرخى قبضته ، وهو يصرخ من شدة الألم .. ولم يكد الآسيوى يتحرَّر من تلك القبضة الصارمة ، حتى أطلق لساقيه العنان ، إلا أن الرجل الآخر بادر بإخراج مسدسه فى سرعة ، وأطلق منه رصاصة ، أصابت ساق الآسيوى ، فسقط عاجزًا عن الحركة ، وهو يئنّ فى ألم ..

ومرَّة أخرى دفعه الرجلان إلى مكتب الأمن ، حيث تم استدعاء طبيب المطار فى عجلة ، لعلاج ساق الآسيوى ، وتضميد جراح الشُرطى المصاب فى ذراعه ..

وبعد أن تمَّ ذلك فى سرعة ومهارة ، قام أحد رجال الأمن بفتح الصندوق المعدنى ، ثم لم يلبث أن قطَّب حاجبيه ، وهو يتأمَّل عشرات الفئران البنِّية اللون ، الصغيرة الحجم داخله ، وناوله لأحد رجاله قائلًا :

ـــ اذهب بالصندوق ومحتوياته إلى الدكتور (ماهر) ، فى معمل الحجر الصحى ، إنه ينتظره ، وأخبره أننى فى انتظار

تقريره ، أنا والعقيد (مدحت) ، من (إدارة العمليات الخاصة) ، ولن نغادر المطار إلا بعد وصوله .

وصمت لحظة . ثم أردف فى لهجة توحى بخطورة الأمر :

ـــ أسرع ، فقد يحمل هذا الصندوق كارثة ..

* * *

استقبل مدير أمن المطار ، والدكتور (ماهر) ، العقيد (مدحت) فى مكتب الأمن بترحاب ، ودعاه مدير الأمن للجلوس ، قائلًا :

ـــ لقد ثبتت صحة البلاغ الذى تلقَّيتموه للأسف يا سيادة العقيد .

العقيد (مدحت) :

ـــ إذن فالفئران تحمل ذلك الميكروب القاتل !

قدَّم له الدكتور (ماهر) تقريره ، وهو يقول :

ـــ لقد أثبتت الفحوص والتحاليل أن الفئران المائة والعشرين ، من فصيلة (الساما) الآسيوية ، وكلها تحمل ميكروب مرض (الشارك) الوبائى ، وأنها قد حُقنت بذلك الميكروب القاتل منذ يومين فقط .

سأله العقيد (مدحت) فى مزيج من القلق والاهتمام :

— كم تستغرق هذه الفئران ، لتصبح قادرة على نقل الميكروب للبشر ؟

الدكتور (ماهر) :

— خمسة عشر يومًا بالضبط .

العقيد (مدحت) :

— وأين ذلك الآسيوى ؟

رئيس مكتب الأمن :

— فى الحجرة المجاورة ، سآمر بإحضاره على الفور .

ثم أمر أحد رجاله بإحضار الآسيوى ، وغاب الرجل قليلًا ، ثم لم يلبث أن عاد وملامحه تشف عن انزعاج واضح ، وهو يقول :

— لقد انتحر الرجل .

أسرع العقيد (مدحت) ، ورئيس الأمن ، والدكتور (ماهر) إلى الحجرة ، التى تم احتجاز الآسيوى فيها ، فوجدوه ملقى على الأرض ، جاحظ العينين ، وقد أطبقت أصابعه على زجاجة صغيرة ، تحوى أقراصًا بنّية اللون ، التقطها الدكتور (ماهر) فى سرعة ، وفحصها فى عجلة ، قبل أن يغمغم :

— أعتقد أنها أقراص السيانيد ، فهو سُمّ شديد الفتك ، سريع المفعول .

هتف رئيس الأمن فى دهشة :

— ولكن لماذا فعل ذلك ؟

العقيد (مدحت) :

— لأنه فشل فى تحقيق مهمته ، وعند ذلك النوع من البشر ، الفشل يساوى الموت .

ثم التفت إلى الدكتور (ماهر) ، وهو يستطرد فى حزم :

— أريد نقل خمسة من هذه الفئران إلى معامل الأبحاث ، التابعة لإدارة العمليات الخاصة ، وسأشرف بنفسى على إعدام الفئران الباقية فورًا .

واستدار إلى رئيس الأمن مردفًا :

— أما عن جثة الآسيوى ، فسيتم نقلها على الفور ، مع الأقراص السامة ، ليتم فحصهما بواسطة الطبيب الشرعى .

رئيس الأمن :

— كما تأمر يا سيادة العقيد .

تنهّد العقيد (مدحت) فى قلق ، قبل أن يقول فى لهجة عميقة :

— يبدو أننا مقدمون على معركة عنيفة أيها السادة .. معركة بدأتها هذه الفئران .

* * *

٢ ـــ المساومة المرعبة ..

جلس المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) يصغى ـــ فى اهتمام شديد ـــ لحديث رئيسه ، الذى استدعاه إلى حجرته ، على نحو يوحى بخطورة وأهمية الأمر .. ولقد بدت لهجته جادة تمتزج بالقلق ، مما لم يدَع لـ (ممدوح) مجالًا للشك ، فى أنه مقبل على مهمة جديدة .. ولقد تركّزت نظرات اللواء (مراد) على عينى (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ فى العام الماضى تبرّع أحد كبار الأثرياء فى (باكستان) ، للحكومة المصرية بثلاث ماسات ، ذات قيمة مادية وتاريخية كبرى ، وتتوارثها أسرته منذ عصور الخلافة الإسلامية العباسية ، حيث يقال إن الخليفة (العبّاسى) قد أهدى هذه الماساة الثلاث ، المعروفة باسم (نور الشفق) لأجداد أسرة هذا الثرى الباكستانى ، تقديرًا لجهودهم فى خدمة الإسلام ، إبّان إقامتهم فى (بغداد) ، مقرّ الخلافة فى ذلك الحين .. ولقد أهدى الباكستانى (نصر الدين خان) هذه

الماسات للحكومة المصرية ؛ لكى تودعها المتحف الإسلامى ، نظرًا للرعاية التى تلقّاها هو وأسرته هنا ، بعد هروبهم من شرور وطغيان عصابات (الكانتا) .

ردّد (ممدوح) فى دهشة :

ـــ عصابات (الكانتا) ؟!

اللواء (مراد) :

ـــ نعم .. إنها عصابات تضمّ مجموعة من المحترفين ، الذين يعمدون إلى استخدام وسائل خاصة للقتل ، وينتشرون فى (الهند) ، و (باكستان) ، و (بنجلاديش) ، ويرجّح البعض أن مقرّهم الرئيسى يكمن فى جبال ولاية (كشمير) ، بالقرب من حدود (باكستان) ، وهى عصابات ذات تاريخ قديم ، حافل بالشرور والطغيان .

أرهَف (ممدوح) حواسه ، وهو يستمع إلى اللواء (مراد) ، وقد خامره شعور قوىّ بأنه مُقبِل على مغامرة مثيرة ، وأنها سترتبط ـــ ولا شك ـــ بتلك العصابات الرهيبة ، فى حين توقّف اللواء (مراد) لحظة ليشعل سيجارته ، ثم أردف قائلًا :

ـــ ويسيطر على هذه العصابات الإجراميّة الآن شخص واحد يدعى (كورروش) ، وهو رجل تحاك حوله الأساطير ،

التى تبالغ فى وصف قوته وقدراته .. وعلى الرغم من أن أحدًا لم يلتق بذلك الرجل ، الذى يسيطر على هذه العصابات الرهيبة ، ليقودها لنشر الرعب والفزع فى شرقىّ (آسيا) ، إلا أنه من المعروف عنه أنه يتمتع بقدرات خاصة ، وذكاء مفرط ، وخبرات علمية غير محدودة .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى توتُّر :

ـــ كما يقال إن له وجه شيطان .

عاد اللواء (مراد) إلى صمته برهة ، وكأنما يستعيد فى ذهنه كل ما توافر لديه من معلومات ، حول هذا الموضوع ، إلا أن (ممدوح) ، الذى كان منصتًا بشغف وحواسه كلها تعجَّله قائلًا :

ـــ مازلت لا أفهم يا سيِّدى تلك العلاقة بين ماسات (نصر الدين خان) ، وبين عصابات (الكانتا) و (كورروش) هذا ..

اللواء (مراد) :

ـــ هناك صراع قديم ودائم بين أسرة (نصر الدين خان) ، وعصابات (الكانتا) ، يعود إلى العهد الذى كان فيه أحد أجداد (نصر الدين) مكلَّفًا حماية الجبال الجنوبية فى (كشمير) .. ولقد أقسم ذلك الجدّ وقتها على تطهير الجبال من شرور أولئك

القتلة ، واستخدم فى سبيل ذلك كل ما يملك من سلطات ، وعتاد ، ورجال ، حتى نجح بالفعل فى القضاء على عدد كبير منهم ، وهم يسعون للثأر من أحفاده .. وهناك أيضًا تلك الماسات ، التى ظلت الأسرة تتوارثها ، وتحافظ عليها ، والتى تسيل لُعاب ذلك الشيطان (كورروش) ، الذى يسعى لامتلاكها ، باذلًا الكثير من المحاولات الفاشلة حتى الآن ..

ولقد أهدى (نصر الدين) هذه الماسات لمصر ، تقديرًا منه لدورها فى حمايته أولًا ، ولتناقص أعوانه ، وضعف قدراته على مواجهة (كورروش) وعصاباته ثانيًا ، وهم يتتبَّعونه من مكان إلى آخر .. وحينما شعر بأنهم كادوا يطبقون عليه ، قرَّر أن أفضل ما يفعله هو إهداء الماسات لـ (مصر) ، ليحافظ على تراث عائلته ، خاصة أنه لم ينجب ، ولا وريث له .. ومن المؤسف أن عصابات (الكانتا) قد تمكَّنت من (نصر الدين) ، وقتلته بعد ثلاثة أيام فقط من تنازله عن الماسات للمتحف الإسلامى .. ولقد جرت عدة محاولات ، من قبل هذه العصابات ، لسرقة الماسات ، انتهت جميعها بالفشل ، وبانتحار من اشتركوا فيها ، قبل أو فور إلقاء القبض عليهم .. وهنا لجأ (كورروش) إلى أسلوب جديد ، ظن أنه يستطيع بواسطته لىّ أعناقنا ، وإجبارنا على تسليمه الماسات .

ممدوح :

ـــ وما هو ؟

اللواء (مراد) :

ـــ لقد أدخل إلى مصر ثلاثة صناديق ، تحمل ثلثمائة وخمسين فأرا ، تقول أوراقها الزائفة إنها مستوردة لحساب معمل أبحاث طبية وهمى .. ولقد اختفت هذه الصناديق الثلاثة فى أماكن مجهولة .

ارتسمت الدهشة على وجه (ممدوح) ، وتحوّلت إلى ابتسامة حائرة ، وهو يقول :

ـــ ألا يبدو تصدير الفئران إلينا وسيلة غريبة ؛ للمساومة على تلك الماسات ؟

ولكن اللواء (مراد) لم يبادله ابتسامته ، وإنما ضغط حروف كلماته ، وهو يقول :

ـــ بالعكس .. إنها تتفق تمامًا مع أسلوب (كورروش) .. فلقد حقنت هذه الفئران بميكروب وبائى خطير ، ولو أطلقت بعد عشرة أيام فقط ، فستتحوّل مصر إلى دولة موبوءة ، يتساقط سكانها فى الطرقات ، مصابين بأخطر أنواع الحمى الآسيوية .

انتفض (ممدوح) فوق مقعده ، وامتزجت دهشته بالفرح ، وهو يهتف .

ـــ ماذا تقول يا سيادة اللواء ؟

اللواء (مراد) :

ـــ الحقيقة يا (ممدوح) .. لقد أبلغ ذلك الشيطان عن طريق أحد رجاله ، وهو يحاول إدخال الصندوق الرابع إلى البلاد ، حتى يمكننا إلقاء القبض عليه ، ونتأكّد من صحة تهديده .. ولقد ثبت لنا من فحص هذه الفئران أنها تحمل ذلك الميكروب الخطير بالفعل ، كما ثبت من مراجعة الأوراق أن الصناديق الثلاثة الأولى قد دخلت إلى البلاد فعلًا ، وهى تختفى فى أماكن مجهولة ، وتحت رعاية أشخاص مجهولين ، تقتصر مهمتهم على إطلاق الفئران فى الطرقات بعد عشرة أيام ، مالم نخضع لتهديد (كورروش) وعصاباته ، وتسليمهم الماسات الثلاث .

ممدوح :

ـــ ألم يتم القبض على ذلك الرجل ، الذى حاول إدخال الصندوق الرابع ؟

اللواء (مراد) :

— بلى .. ولكنه انتحر كما فعل سابقوه ، ويبدو أن هؤلاء الأشخاص يخشون (كوروش) أكثر مما يخشون الموت نفسه ، ومن الواضح أن القانون الذى يلتزمون به يجعل الموت مرادفًا للفشل .

ونهض اللواء (مراد) من خلف مكتبه ، وابتعد عنه عاقدًا كفيَّه خلف ظهره ، وهو يستطرد :

— والتسجيل الصوتى الذى أرسل به إلينا (كوروش) ، يحدِّد وسيلة تسليم الماسات الثلاث ، فى إحدى المناطق الجبلية فى (كشمير) ، مقابل منحنا خريطة للأماكن التى أخفيت فيها تلك الصناديق المرعبة ، حتى يمكننا إعدام تلك الفئران ، حاملة الوباء ، قبل انتشاره .. ولست أخفى عليك أن المسئولين هنا لا يجدون بُدًّا من الخضوع لابتزاز ذلك الشيطان ، وتسليمه الماسات الثلاث ، خشية وقوع الكارثة ، وانتشار الوباء .. فحياة البشر دائمًا أهم من أى اعتبار آخر ، والوسيلة الوحيدة أمامنا لتلافى ذلك هى الحصول على تلك الخريطة ، التى يحتفظ بها (كوروش) ، خلال أسبوع واحد ، اعتبارًا من غد .

وانتقل اللواء (مراد) ليقف أمام (ممدوح) تمامًا ، ويواجهه قائلًا :

— هل يمكن الاعتماد عليك فى هذه المهمة ؟

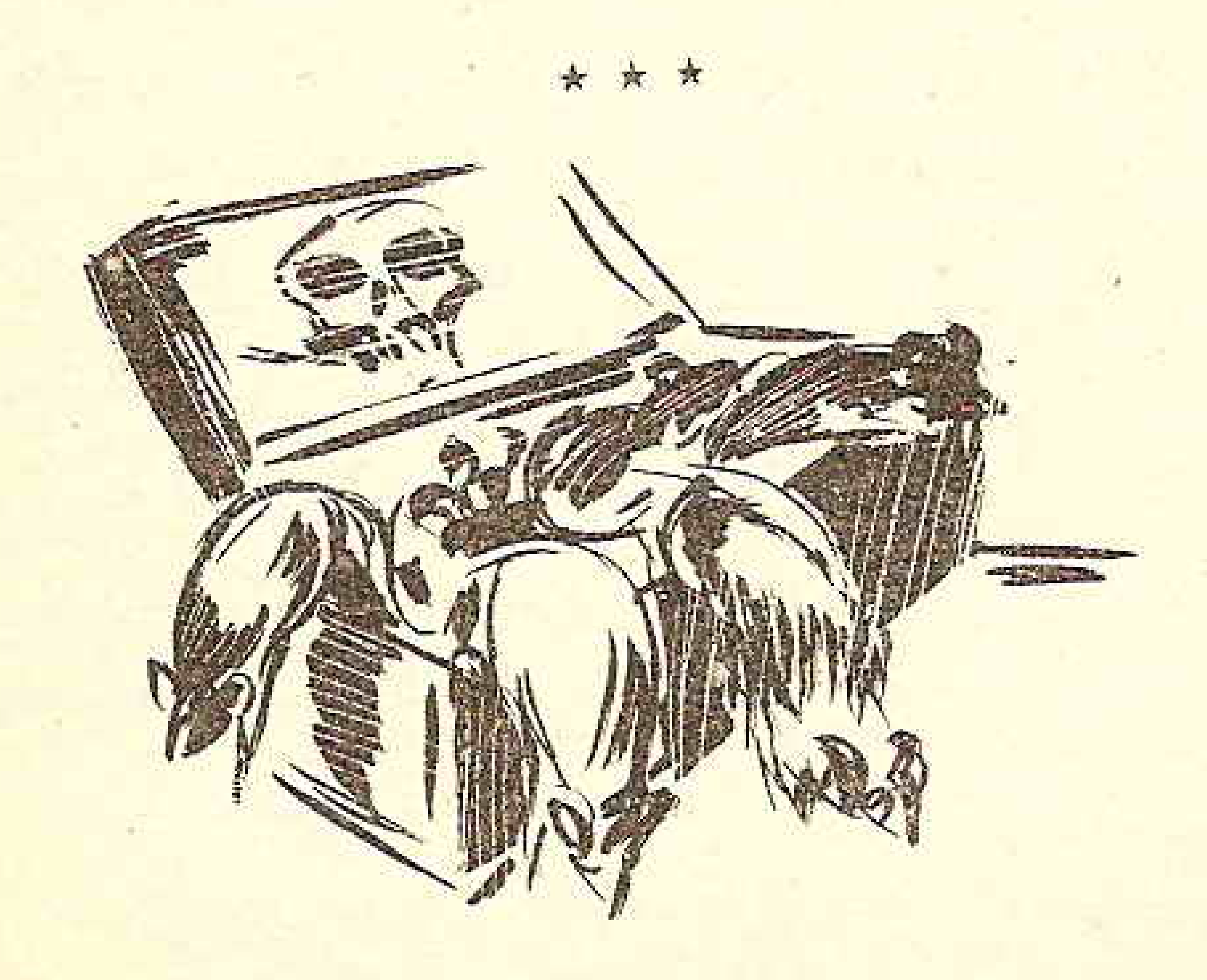
اكتست ملامح (ممدوح) بالشجاعة والإصرار والتصميم ، وهو يقول :

— سأبذل أقصى جهدى لتنفيذ ما أكلَّفه يا سيادة اللواء ، وسأبذل حياتى نفسها إذا استدعى الأمر ذلك ، فى سبيل منع الكارثة .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى عناد وقوة :

— والاحتفاظ بالماسات أيضًا .

* * *



٣ ـــ حانوت الموت ..

جلس (ممدوح) يرتشف فنجانًا من القهوة ، فى شرفة أحد الفنادق الصغيرة ، التى تطلّ على هضاب جبال (كده كورم) فى ولاية كشمير ، فلمح شخصًا متوسط البنية ، له شارب كث ، يجلس على المنضدة المواجهة له ، وهو يرمقه بعينين ثاقبتين ، ثم لم يلبث أن أخرج من جيبه منديلًا أحمر اللون ، أخذ يعقده ويحلّه عدة مرات فى بطء ، دون أن تفارق عيناه وجه (ممدوح) ، الذى أخرج من جيبه منديلًا مشابهًا ، وأخذ يقوم بالعمل نفسه فى هدوء .. وهنا نهض الرجل ، وانتقل إلى مائدة (ممدوح) ، وهو يقول فى صوت هامس :

ـــ المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) ؟

أومأ (ممدوح) برأسه إيجابًا ، فمدّ إليه الرجل كفّه مصافحًا ، وهو يقول :

ـــ (قاسم شاه) فى خدمتك .

صافحه (ممدوح) ، ودعاه لمشاركته مائدته ، وهو يقول :

ـــ أعتقد أن مندوب السفارة المصرية فى (باكستان) ، قد أطلعك على تفاصيل المهمة ، التى جئت من أجلها إلى (كشمير) .

أجابه (قاسم) فى اهتمام وجدية :

ـــ نعم .. ولكننى أحب أن أحذّرك أولًا .. فمهمتك لن تكون هيّنة بأى حال من الأحوال ، وستواجه مخاطر هائلة جسيمة ، فلـ(كوروش) عيون وجواسيس ، ينتشرون فى أماكن متفرّقة من (كشمير) ، وإذا أدرك الهدف الذى جئت من أجله فلن يرحمك ، ورجاله من عصابات (الكانتا) يتوقون دومًا للقتل ، وسفك الدماء ، وسيكفى أن يشير نحوك بسبّابته ، لينقضّوا عليك ، ويمزقوك إربًا .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول مازحًا :

ـــ اطمئن يا صديقى .. لقد قابلت ـــ خلال عملى فى إدارة العمليات الخاصة ـــ العشرات ممن يسعدهم تمزيقى إربًا ـــ كما تقول ـــ ولكننى أخيّب ظنونهم دائمًا .. المهم كيف يمكننى الوصول إلى (كوروش) ؟

قاسم :

ـــ هذا عسير ، فهو أشبه بالصقور التى تحلّق فوق جبال

(كشمير) ، يتنقَّل بين عدة أماكن .. وله عشرات الأوكار ، عدا مخابئه الأخرى المجهولة ، فى (الهند) ، و (باكستان) ، و (أندونيسيا) .. ولقد حاولت قوَّات الشُرطة فى هذه الدول تعقُّبه ، والتوصُّل إليه ، إلا أنها فشلت جميعها فى ذلك ، فهو شيطان ، تمتد مخالبه لنيل من يريد ، فى حين يعجز الآخرون عن نيله هو .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ ألا ترى أنك تبالغ كثيرًا ، حتى لتجعل من هذا الرجل أسطورة ؟

ولكن ملامح (قاسم) ظلَّت تحتفظ بجدِّيتها ، وهو يقول :

ــ إنه لكذلك بالفعل .

لم يبد التأثُّر على (ممدوح) ، وهو يبتسم قائلًا فى هدوء :

ــ هذا يثير حماسى على الأقل .. كيف يتم إذن الاتصال بين (كوروش) ورجاله من عصابات (الكانتا) ؟

قاسم :

ــ إن عصاباته تتلقَّى أوامره عن طريق عدد محدود من أعوانه المقرَّبين ، وحتى هؤلاء لا يمكنهم جميعًا مقابلته .. فذلك الشيطان يتبع طرقًا ووسائل شديدة السرِّيَّة والتعقيد والتنوُّع ، للاتصال بأعوانه ، ونقل أوامره إليهم .

ممدوح :

ــ وهل تعرف أحد هؤلاء الأعوان المقرَّبين ؟

قاسم :

ــ نعم .. هناك رجل يدعى (تورك) ، يمتلك حانوتًا كبيرًا فى مدينة (شيران) ، عند سفح الجبل ، يبيع فيه الحيوانات والزواحف للسَّحرة والحُواة ، وأيضًا للمختبرات العلمية وحدائق الحيوان .. ولدىَّ معلومات مؤكَّدة ، موثوق بها ، تقول إن هذا الرجل على صلة وثيقة بـ (كوروش) وأعوانه .

بدا الاهتمام على وجه (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ ومن أين له بهذه الحيوانات والزواحف ؟

قاسم :

ــ إنه يتعامل مع عدد من الصيادين المهرة ، الذين يجُوبون الجبال والقفار ، لاقتناص هذه الحيوانات وبيعها .

ممدوح :

ــ وهل يحوى حانوته فئران (الساما) أيضًا ؟

قاسم :

ــ نعم .. إن لديه بعضها .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. هل يمكنك إرشادى إلى حانــوت ذلك الرجل ؟

قاسم :

ـــ بالطبع .. سأصحبك إلى هناك ، وسأنتظرك بالقرب من الحانوت ، فى عربتى الصغيرة ذات الجياد .

ممدوح :

ـــ هذا عظيم ، ولكن لماذا تقدّم لى هذه المعلومات ؟.. إنك طبقًا لمعلوماتى لست عميلًا محترفًا لأى جهاز أمن ، كما أنك لا تتقاضى أى أجر لقاء هذه الخدمات .

ابتسم (قاسم) ، قائلًا :

ـــ يبدو أنهم لم يخبروك أننى ابن عم (نصر الدين خان) ، وأننى أرأس فريقًا للمقاومة السّرّية ، يتكوّن من ثلاثين رجلًا ، نذروا حياتهم لمحاربة عصابات (الكانتا) ، والشيطان الذى يتزعّمهم ، بعد أن شرّدوا عائلاتنا ، وخرّبوا ديارنا ، ودمّروا حقولنا .. إن عمل فريقى يتلخص فى مطاردة وقتل كل من ينتمى إلى عصابات (الكانتا) ، ومساعدة رجال الشُرطة فى (باكستان) و (كشمير) على تتبُعهم ، والقبض عليهم ،

وهذا لا ينطبق على رجال الشُرطة وحدهم ، وإنما على كل من يحارب هؤلاء السفاحين ، ويسعى للنيل منهم ، كما تفعل أنت .. ولكن طموحك فى النَّيل من زعيمهم (كورروش) ما زال حلمًا بعيد المنال .

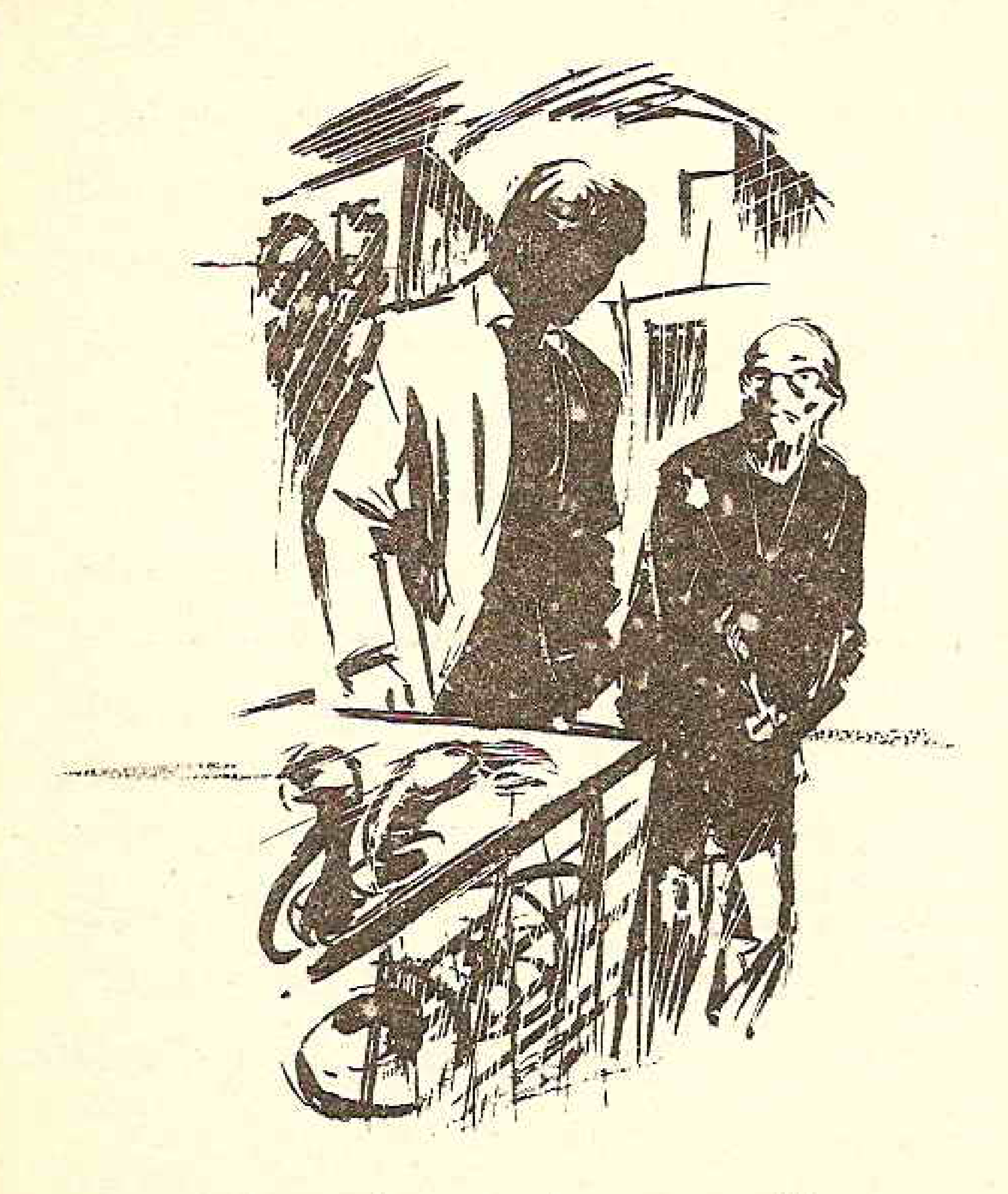
ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول فى لهجة هادئة ، حملت كل عناده وإصراره :

ـــ سيتحقَّق الحُلم قريبًا ـــ بإذن الله ـــ يا صديقى .. سيتحقَّق حُلم القضاء على الشيطان .

* * *

اقتربت عربة صغيرة مكشوفة ، تجرّها الجياد ، من حانوت منعزل عند سفح الجبل ، صنعت جدرانه من أحجار (البازلت) ، وواجهته من أخشاب (البامبو) ، وتوقَّفت عند منحنى المنحدر الجبلى ، المطلّ على مدينة (شيران) ، حيث هبط منها (ممدوح) ، وتبادل كلمة هامسة مع (قاسم) ، ثم اتجه إلى الحانوت فى خطوات واسعة سريعة ..

وكان الحانوت يبدو مقبضًا ـــ من الداخل ـــ وقد تغلَّبت فيه الظُّلمة على تلك الأضواء الشديدة الخفوت ، المصوَّبة نحو الأقفاص والصناديق الزجاجية ، التى تحوى مختلف أنواع القردة



التفت (ممدوح) إلى صاحب الصوت ، فإذا هو رجل قصير القامة ، نحيل الجسد يحمل أمام عينيه منظارًا طبيًا ..

والزواحف ، التى يبدو بعضها غريبًا مخيفًا .. وبدا المكان لـ (ممدوح) أقرب إلى كهف مخيف ، منه إلى حانوت لبيع الحيوانات ..

وفجأة .. وبينما كان يتأمَّل المكان من حوله .. أتى صوت من خلفه ، يقول فى رقّة :

ــ هل يمكننى معاونتك يا سيِّدى ؟

التفت (ممدوح) إلى صاحب الصوت ، فإذا هو رجل قصير القامة ، نحيل الجسد ، يحمل أمام عينيه منظارًا طبيًّا ، لم يخف ذلك المكر والدهاء ، الذى ينبعث من العينين الغائرتين ..

فابتسم (ممدوح) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ نعم .. أريد شراء مجموعة خاصة من الفئران .

ابتسم الرجل ابتسامة صفراء ، وهو يقول :

ــ ستجد لدىَّ ما تحتاج إليه بالتأكيد يا سيِّدى .. ولكن دعْنى أخمِّن لِمَ تريدها !.. إنك لا تشبه السحرة أو الحُواة ، أو رجال السيرك .. ولعلك عالمٌ يبحث عن فئران خاصة لتجاربه .. إن لدىَّ هنا نوعًا ممتازًا من فئران (الشوجو) و ...

قاطعه (ممدوح) فى هدوء ، وهو يضغط حروف كلماته :

ــ إننى أريد عددًا من فئران (الساما) .

ارتسمت الدهشة على وجه الرجل برهة ، ثم عاد يستعيد ابتسامته الصفراء ، وهو يقول :

ــ ولكن فئران (الساما) بليــدة لا تستخــدم فى الاختبارات العلمية غالبًا .

قال (ممدوح) فى برود :

ــ ولكنها ناقلة جيِّدة لميكروب (الشارك) الوبائى ، خاصة أنها لا تصاب به ، وإنما تنقله فقط إلى الإنسان .

رفع الرجل حاجبيه فى دهشة ، ثم أسرع يخفضهما ، وهو يقول فى خبث ومداهنة :

ــ هذا يؤكِّد خبرتك العلمية الممتازة ، التى أسعدتنى إفادتى بها ، ولكننى أعجز عن معاونتك للأسف ، فلست أملك هذا النوع من الفئران .

قال عبارته وانحنى فى أدب ، ثم ادار ظهره لـ (ممدوح) ، وكأنما ينهى الحديث ، إلَّا أن (ممدوح) عاد يقول فى هدوء :

ــ دَعْنى أخمِّن أنا هذه المرَّة .. لقد استنفد عميل ممتاز الكمية كلها .. عميل يدعى (كورروش) .

استدار الرجل بحركة حادَّة ، عند سماعه الاسم ، وانقلبت سحنته ، وازدادت عيناه غورًا وضيقًا ، فى حين عقد (ممدوح) ساعديه أمام صدره ، وهو يستطرد فى ثقة :

ــ وأنا هنا لمقابلة عميلك هذا .. لقد أتيت من (مصر) خصيصًا لمقابلته .

كشَّر الرجل عن أنيابه ، وهو يقول فى برود شرس :

ــ يبدو أنك عميل ثقيل أيها المصرى .. وأنا عندما أضيق بالعملاء الثقلاء ، لا أكتفى بطردهم من حانوتى ، بل من الدنيا كلها .

أدرك (ممدوح) ما تعنيه كلمات الرجل على الفور ، ففوق زجاج صندوق ضخم ، يحوى عددًا من الأفاعى والثعابين السَّامة ، انعكست صورة رجل ضخم الجثة ، يبرز من وسط الظلام ، ويهوِى بقبضته الممسكة بخنجر مقوَّس حاد على عنقه ..

* * *

قفز (ممدوح) جانبًا ، وتفادى النَّصل القاتل فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن ينغرز فى عنقه ، واختلَّ توازن خصمه حينما هوَى خنجره فى الهواء .. وقبل أن يسترجع توازنـه ، عاجلـه (ممدوح) بركلة قوية ، أطاحت به إلى الخلف ..

وضمَّ (ممدوح) قبضته ، استعدادًا لتسديد لكمة قويـة إلى فكِّ الرجل ، ولكنه فوجئ بآخر يهاجمه من الخلف ، ويحيط عنقه بحبل قوى رفيع ..

وشعر (ممدوح) بحنجرته تكاد تتمزَّق تحت ضغط الحبل الملتفّ على عنقه ، ورأى بعينيه الجاحظتين صاحب الحانوت القصير ، وقد اتسعت ابتسامته الصفراء المقيتة ، وهو يتأمَّل ذلك المشهد العنيف .. فتدفَّقت دماء الغضب فى عروقه ، وضرب قدم الرجل الذى هاجمه من الخلف بكعب حذائه فى قوة ، جعلت الرجل يصرخ من فرط الألم ، ويرخى قبضتيه عن الحبل قليلًا ..

وهنا ضمَّ (ممدوح) قبضتيه ، وهوَى بهما على رأس الرجل من خلف ظهره ، ثم تشبَّث به فى قوة ، وانحنى إلى الأمام فى حركة سريعة ، ليلقى به من فوق أكتافه ..

وانقضَّ الرجل الأوَّل ، يحاول طعن (ممدوح) بخنجره من جديد ، ولكن (ممدوح) استقبله بلكمة قوية ، ارتجَّ لها جسده ، ثم بأخرى ترنَّح لها الرجل كالسكران ..

وقفز الثانى واقفًا ، وركل (ممدوح) فى ساقه بقوة ، وكأنه يثأر لنفسه ، فسقط (ممدوح) أرضًا ، بالقرب من صندوق الأفاعى والثعابين ، التى أخذت تتحرَّك فى حِدَّة وشراسة ، وتُطلِق فحيحها المخيف من خلف الجدران الزجاجية ، بعد أن أثارتها تلك المعركة الشرسة ، التى تدور أمامها ، فى حين أحاط

الرجلان بـ(ممدوح) ، واستلَّ كل منهما خنجره ، وتأهَّبا للانقضاض عليه ..

وبأسرع من البرق ، قفز (ممدوح) واقفًا على قدميه ، وقفز إلى أعلى فى مرونة ، مصوِّبًا كلتا قدميه إلى الرجلين ، فى حركة ماهرة من حركات (الكاراتيه) التى يجيدها ، فترنَّح الرجلان ، وهما يتراجعان أمامه .. ولم يكد يهبط على قدميه ، حتى قبض على معصم أحدهما ، ولوَى ذراعه خلف ظهره فى قوة ، ودفعه إلى الأمام ..

واصطدمت رأس الرجل بالصندوق الزجاجى ، وهشَّمته ، ووجد الرجل نفسه داخله ، بين الأفاعى والثعابين ، التى أسرعت تلتف حول ذراعيه ، وساقيه ، وجسده .. فتعالت صرخاته فى رعب وألم ، وغرزت الثعابين والأفاعى أنيابها السَّامة فى جسمه ..

واستدار (ممدوح) ليواجه خصمه الآخر ، ولكنه رأى نصل الخنجر الحادّ يهوى على صدره فى قوة ..

ولم يكن هناك مجال للفرار ..

* * *

٤ — مطاردة بين الجبال ..

أدرك (ممدوح) أنه هالك لا محالة هذه المرّة ، واستعدّت حواسّه كلها لاستقبال الموت ؛ لذا فقد اكتنفته دهشة عظيمة ، حينما تراخت يد الرجل فجأة ، وأفلت خنجره ، ثم سقط فوقه بلا حراك ..

وتراجع (ممدوح) فى دهشة ، وترك الرجل يسقط عند قدميه صريعًا ، وهو يحدّق فى ذلك السهم الذى اخترق عنقه ، ونفذ من الناحية الأخرى .. وقبل أن يتساءل عمّا حدث ، سمع صوت (قاسم) يقول :

— (قاسم شاه) فى خدمتك دائمًا ياسيادة المقدّم .

تطلّع (ممدوح) إلى (قاسم) ، الذى يقف مبتسمًا أمام مدخل الحانوت ، حاملًا فى يده آلته الصغيرة لقذف السّهام ، فزفر قائلًا :

— شكرًا يا صديقى .. إنها خدمة لاتنسَى .

ثم أجال البصر حوله ، هاتفًا :

— أين (تورك) ؟

أجابه (قاسم) وهو يستحثّه على الخروج ، بعد أن بدأت الأفاعى تزحف وتنتشر فى المكان :

— لقد فرّ عَبْر أحد المنافذ السّرّية فى حانوته ، وثق أنه لن ينس هذه الفوضى التى أحدثها هنا .

قفز الاثنان إلى العربة ذات الجياد ، وانطلق بها (قاسم) .. ومن بعيد كانت هناك عيون تراقب ما يحدث ..

عيون قاتلة ..

* * *

انطلقت العربة تخترق شوارع المدينة الضيّقة ، والممرّات الجبلية المحيطة بها ، وقال (قاسم) :

— يؤسفنى ألا تأتى خطوتك الأولى بنتائج مثمرة .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— بل لقد فعلت يا صديقى ، فهأنذا أعلن عن وجودى فى (كشمير) ، ومن المؤكّد أنهم سيسعون للقائى مرة أخرى .

ارتفع أزيز رصاصة تعبُر الهواء فوق رءوسهم فى تلك اللحظة ، فهتف (قاسم) ، وهو يلهب ظهر جياده بالسياط :

— يلوح لى أنهم قد سعوا إلى ذلك بالفعل .

انطلقت الجياد تنهب الأرض ، عَبْر ممر جبلى ضيِّق ، والتفت (ممدوح) خلفه ، ليرى عن بعد عددًا من الرجال الملثَّمين ، يتدثَّرون بعباءات سوداء ، وينطلقون على صهوة جيادهم خلف العربة ، وهم يطلقون رصاصات بنادقهم عليها ..

وأخرج (ممدوح) مسدسه ، وتبادل معهم إطلاق النار ، وهو يشعر برصاصاتهم تنهمر حوله كالمطر ، وهتف بعد أن أصاب أحدهم :

ــ المعركة على هذا النحو ، تبدو غير متكافئة على الإطلاق .

لم يبد على (قاسم) أدنى أثر للخوف أو الاضطراب ، وهو يشير إلى صخرة ضخمة تعترض الممر الجبلى ، وتبتلع الجزء الأعظم من اتساعه ، قائلًا :

ــ ستنقلب دفَّة الأمور لصالحنا ، إذا ما نجحنا فى عُبور ذلك الطريق الضيق ، الملاصق للصخرة .

انطلقت الجياد تنهب الأرض فى قوة ، والعربة تتأرجح فى شدة فوق الممر الجبلى الوعر ، حتى تخطَّت بهم الطريق المنشود ، وهؤلاء الملثَّمون الذين يرتدون العباءات السَّوداء يزيدون من سرعة جيادهم بدورهم ، فى محاولة للَّحاق بالعربة ..

وفجأة .. أوقف (قاسم) العربة ، والتقط صفَّارة معلَّقة

حول عنقه ، وأطلق منها صفيرًا حادًّا قويًّا .. ولم يكد ينتهى حتى انهالت عشرات الأحجار من أعلى الجبل ، على رءُوس أصحاب العباءات السوداء . فلقى بعضهم مصرعهم على الفور ، وألقت الجياد الملتاعة بالبعض الآخر ، وهى تصهل ، وتعمد إلى الفرار ..

وفى لحظة .. انقض أكثر من اثنى عشر رجلًا بأسلحتهم ، من أعلى الجبل ، ليحاصروا من تبقَّى من أصحاب العباءات السوداء ، فهتف (ممدوح) فى دهشة :

ــ من هؤلاء ؟

ضحك (قاسم) ، وهو يقول فى فخر :

ــ هؤلاء رجالى .. إن آذانهم لا تخطئ صفيرى المميَّز أبدًا ، فضلًا عن أنهم يشمون رائحة عصابات (الكانتا) من بعد مئات الأمتار .

هتف (ممدوح) :

ــ لذا فقد كنت تعلم أننا سننجو إذا ما عَبَرْنا تلك الصخرة .

لم يكد (ممدوح) يتم عبارته ، حتى عَبَرت رصاصة فوق رأسه تمامًا ، فاستدار إلى مصدرها فى سرعة ، وأطلق رصاصة

مسدسه نحو رجل (الكانتا) الذى حاول قتله ، فأصاب بندقيته إصابة مُحكمة ، ثم انقضّ عليه ، وجثم فوقه ، وكال له اللكمات ، حتى أفقده الوعى ، فابتسم (قاسم) ، وهو يقول :

ـــ صيد موفَّق يا سيادة المقدّم .

حمل (ممدوح) الرجل الفاقد الوعى ، وألقاه داخل العربة ، وهو يقول :

ـــ أفسح الطريق يا صديقى .. لقد حصلنا على أول أسير من (الكانتا) .

سأله (قاسم) فى هدوء :

ـــ وماذا ستفعل به ؟

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول فى غموض :

ـــ سنحاول حلّ عقدة لسانه ياصديقى .

* * *

جلس (ممدوح) و (قاسم) ، وعدد من أعوان هذا الأخير يتباحثون فى أمر الأسير ، فى كوخ خشبىّ صغير ، يختفى فى باطن الجبل ، وكان (قاسم) يقول :

ـــ مازال ذلك الوغد يصرّ على عدم كشف الوكر ، الذى تختفى فيه جماعته .

(ممدوح) :

ـــ من الضرورى أن أصل إلى أحد ملاجئ هذه العصابات ، فلدىّ اعتقاد قوىّ بأن ذلك سيكون بداية الطريق إلى وكر (كوروش) .

طلب (قاسم) من أحد معاونيه مراقبة الطريق ، ثم التفت إلى (ممدوح) قائلًا :

ـــ أنت تعلم أن هؤلاء الأوغاد يستهينون بالموت ، وكل من ينجح رجالى فى إلقاء القبض عليه ينتحر على الفور ، ولولا أن فقد ذلك الأسير وعيه ، وقيَّدناه بالحبال لفعل المثل ، وحتى لو استخدمنا معه أساليب التعذيب ، التى تصرّ على رفضها ، فسيبقى مصرًا على عدم الإدلاء بأيَّة معلومات .

ممدوح :

ـــ لا فائدة إذن ؟

قاسم :

ـــ مازالت أمامنا وسيلة واحدة ، أعتقد أنها ستحقَّق لنا هدفنا .

ممدوح :

ــ وما هى ؟

قاسم :

ــ ستعرف بعد قليل ، فلقد أرسلت أحد رجالى لإحضار بعض ثمار خاصة ، تنمو أشجارها فى وادٍ قريب ، يطلقون عليها اسم (ثمار الجحيم) .

ممدوح :

ــ لست أفهم !.. ما علاقة هذه الثمار برجل (الكانتا) ؟

قاسم :

ــ إنها ثمار سامَّة ، وبرغم عدم خشية رجال (الكانتا) من الموت ، إلَّا أنهم يعتقدون أن من يموت بواسطة سموم (ثمار الجحيم) ، تظلّ روحه فى عذاب أبدى ؛ لذا فهم يخشون هذه الميتة أكثر من أى شيء .. بل أكثر من (كوروش) نفسه .

ممدوح :

ــ الآن فهمت .. إذن فأنت تريد استخدام هذه الثمار لتهديد الرجل ، وإجباره على الاعتراف !

قاسم :

ــ تمامًا .

لم يكد الرجل يعود حاملًا الثمار العجيبة ، حتى حملها (قاسم) ، وذهب مع (ممدوح) إلى الحجرة التى وضعوا داخلها رجل (الكانتا) ، وأبرز (قاسم) واحدة من هذه الثمار أمام عينى الرجل ، وهو يقول فى برود :

ــ حسنًا أيها الوغد ، مادمت ترفض أن تدلنا على مكان الوكر ، الذى تختفى فيه جماعتك الشيطانية ، وتفضّل الموت على ذلك .. فسأحقِّق رغبتك .. ستموت بسموم هذه الثمرة .. هل تعرفها ؟

لاحت دلائل الرُّعب والفزع على وجه الرجل ، وهو يتطلّع إلى الثمرة ، وتصبَّب العرق البارد على وجهه فى غزارة ، فى حين شقَّ (قاسم) الثمرة ، وضغطها قليلًا ، ليسيل من شقِّها سائل لزج ، واقترب بها من فم الرجل ، الذى تراجع فى رعب وهو يرتعد فى قوة ..

ولم يحتمل (ممدوح) ــ الذى يكره التعذيب ويستنكره ــ هذا ، فاستوقف (قاسم) قائلًا :

ــ لست أميل إلى استخدام هذا الأسلوب .

همس (قاسم) فى هدوء :

ــ اطمئن .. إننى أنوى تهديده فقط .

انتحى (ممدوح) جانبًا ، فى حين عاد (قاسم) يقرِّب الثمرة من فم الرجل ، ويتظاهر باستعداده لإفراغ عصيرها السَّام فى جوفه ، فأخذ الرجل يصرخ هاتفًا فى رعب :

ــ كلَّا .. كلَّا .. أبعدوا هذه الثمرة الملعونة .. سأخبركم عن كل ما تريدون .. فقط أبعدوها عنِّى .

ابتسم (قاسم) فى ظفر ، وناول الثمرة لأحد أعوانه ، ثم عقد ساعديه أمام صدره فى هدوء ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. كلى آذان صاغية .

* * *



٥ ــ الملاك الحارس ..

تألَّق القمر فى كبد السماء ، وحبس (ممدوح) أنفاسه ، برغم رحلة التسلُّق الطويلة ، التى قطعها حتى وصل إلى تلك القمة الجبلية ، واستلقى بين صخورها يراقب أحد رجال (الكانتا) ، الذى يتحرَّك بخطوات متَّئدة ، فوق المرتفع الجبلى ، حاملًا مدفعه الرشَّاش ، وهو يقوم بحراسة مدخل أحد الكهوف ..

لقد قرَّر هو أن يأتى وحده ، بعد أن حصل على اعتراف الأسير ، خشية أن يأتى (قاسم) تصرُّفًا متهوِّرًا ، تضيع معه كل الجهود .. ولكنه يشعر الآن ، وبعد أن اختبر وعورة المكان ، ورأى ذلك الحارس العملاق الذى يحمى مدخل الكهف ، أن الأمر يشكِّل صعوبة ومخاطرة بالغتين ، فقد كان السكون الذى يخيِّم على المكان ، إلَّا من صوت خطوات الحارس الثقيلة ، كفيلًا بفضح أيَّة أصوات أخرى ، حتى صوت لهاثه من فرط التعب والمجهود ، كما يفضح ضوء القمر ، الذى

اكتملت استدارته فى تلك الليلة ، أيَّة محاولة للتسلُّل إلى وكر شياطين (الكانتا) ..

لم يكن أمامه إذن سوى محاولة التخلُّص من ذلك الحارس العملاق ، دون صوت ، وإلَّا هلك عند أول خطوة يخطوها ..

ولم يكد (ممدوح) يتخذ قراره ، حتى قبع فى مكانه ساكنًا ، ينتظر فى صبر ، وقد خلع حذاءه حتى لا يصدر صوتًا ينمّ عن وجوده ، ولم يكد الحارس يُوليه ظهره ، حتى قفز من مكانه ، وانقضَّ عليه كالبرق .. وفى حركة سريعة أحاط فم الرجل بكفه ، ليمنعه من الاستغاثة ، وهوى على رأسه بمقبض مسدسه باليد الأخرى ..

وسقط الحارس فاقد الوعى ودون أن يصدر عنه أدنى صوت ، وأسرع (ممدوح) يقيِّده ويكممه فى إحكام ، ثم أخفاه بين مجموعة من الصخور ، وانتزع ملابسه ليرتديها فى سرعة .. وقبل أن ينتهى من ذلك ، خرج رجل فجأة من الكهف ، وتقدَّم نحوه وهو يقول :

ـــ يمكنك أن تحصل على قدر من الراحة يا (هاندو) ، لقد حانت نوبتى و ...

بتر الرجل عبارته فجأة ، وهتف وهو يحدِّق فى وجه (ممدوح) :

ـــ ولكنك لست (هاندو) .. من أنت ؟

لم يكد يتم جملته حتى كان (ممدوح) قد عاجله بطعنة من خنجره ، وهو يكمِّم فمه بيده ، ويشل حركته فى قوة ..

وعندما خمدت حركة الرجل تمامًا ، عاد (ممدوح) يرتدى ثياب الحارس ، ويخفى معظم وجهه باللِّثام الأسود ، ثم يضع العباءة السوداء خلف ظهره ، وعلَّق سلاحه فى كتفه ، ثم خطا فى هدوء وثقة داخل الكهف ..

كهف شياطين (الكانتا) ..

* * *

كان هناك خمسة عشر رجلًا من عصابات (الكانتا) ، يلتفُّون حول نيران مشتعلة ، فى حين وقف بينهم شخص قوى ، مجعَّد الشعر ، كثيفه ، بحيث يحيط بأذنيه ، وله شارب ضخم ، يتدلَّى حول فكَّيه .. ولم يكد ذلك الشخص يلمح (ممدوح) وهو يدخل إلى الكهف ، حتى قال فى صوت جهورى غليظ :

ـــ أقْدِم يا (هاندو) .. هيَّا لتستمع إلى أوامر (كوروش) الجديدة .

اختار (ممدوح) لنفسه ركنًا قصيًّا ، يبعده عن أضواء النيران المتراقصة ، وأبقى لثامه على وجهه ، فى حين أخذ الرجل ذو الصوت الجهورى يقول :

— (كورروش) يريد مِنَّا أن نلقى القبض على ذلك المصرى ، الذى وصل إلى (كشمير) ، مهما كان الثمن ، حتى ولو قلبنا الأرض بحثًا ، ثم نسلِّمه إلى (طاغوخان) ، وأنتم تعلمون أن (توروك) قد أبلغنا بوجود ذلك الرجل الخطير فى (كشمير) ، ولكننا فشلنا فى القضاء عليه ، بعد تدخُّل رجال حركة (المنتقمون) السرِّية ومعاونتهم له على الفرار .. ولقد كان ذلك من حسن حظنا ، فلقد أمرنا (توروك) بقتله ، فى حين يتعارض هذا مع رغبة (كورروش) فى الإبقاء عليه حيًّا ، واعتباراً من غد ، لن يكون أمامنا هدف سوى البحث عن ذلك المصرى ، فى كل بقعة من بقاع (كشمير) تنفيذًا لأوامر (كورروش)

حافظ (ممدوح) على هدوئه ، وانتظر حتى استغرق رجال (الكانتا) فى النوم ، ثم تسلَّل خارجًا فى هدوء وحذر ، ولكنه لم يكد يخطو خارج المغارة ، حتى فوجئ بفوَّهة مدفع رشاش تلتصق بظهره ، وسمع ذلك الصوت الجهورى يسأله فى خشونة :

— إلى أين أيها الزميل ؟

وقبل أن يجيب (ممدوح) ، أضاف صاحب الصوت الجهورى فى حِدَّة :

— انزع هذا اللِّثام عن وجهك .

أطاع (ممدوح) الأمر فى هدوء ، وكشف وجهه أمام الرجل ، الذى تطلَّع إليه فى دهشة ، ثم قال فى شراسة :

— إذن فأنت ذلك المصرى الذى نبحث عنه !! لقد كنت قريبًا منَّا طوال الوقت دون أن ندرى .. لقد عاونتنا كثيرًا ، لم يعد أمامنا سوى أن نسلِّمك إلى (طاغوخان) طبقًا لأوامر (كورروش) .

ابتسم (ممدوح) فى استخفاف ، وهو يقول :

— هل نسيت أن أوامر (كورروش) تحتِّم تسليمى إليه حيًّا أيضًا ، وبما أن أوامر (كورروش) مقدَّسة بالنسبة لكم ، فلا أظن أنك ستطلق رصاصات هذا المدفع الرشَّاش ، كما أننى لن أسمح لك بأسرى بهذه الوسيلة السخيفة .

لمعت عينا الرجل ، وافتر ثغره عن ابتسامة وحشية ، وهو يقول :

— أخطأت يا صاح .. إن لدىَّ وسائل أخرى تجبرك على الرضوخ ، دون إطلاق رصاصة واحدة ، أوعصيان (كورروش) .. فأوامره تقتضى تسليمك حيًّا ، ولكنها لم تمنع تحطيم أسنانك ، أو كسر ضلوعك .

ثم ألقى مدفعه الرشاش جانبًا ، ووقف بعضلاته المفتولة فى مواجهة (ممدوح) ، الذى قال فى سخرية :

ـــ إذن فأنت تسعى لمنازلة بالأيدى العارية .. أرجو ألّا تندم على ....

وقبل أن يتمَّ عبارته ، عاجله الرجل بلكمة مفاجئة رهيبة ، زلزلت كيانه ، فسقط أرضًا وهو يهز رأسه ، محاولًا التغلُّب على أثر اللكمة ، وقد أيقن أنه يواجه خصمًا لا يستهان به .. ولم يعطه خصمه فرصة استعادة توازنه ، بل ركله ركلة قوية فى بطنه ، كادت معها أمعاء (ممدوح) تقفز خارج فمه ، فانثنى وهو يمسك معدته فى ألم ، وقد لمح فى عينى غريمه نظرة وحشية قاسية ، تؤكِّد شغفه بالعنف والقسوة ..

ولم يكد ذلك العملاق يرفع قبضته ؛ لتسديد لكمة أخرى لـ (ممدوح) ، حتى دفع هذا الأخير رأسه فى معدة خصمه .. ولم يكد الرجل ينثنى ألمًا ، حتى عاجله بضربة قوية على مؤخرة عنقه وأخرى فى فكِّه ، ورفع قدمه ليركله فى وجهه ، ولكن الرجل أمسك قدم (ممدوح) بحركة ماهرة ، ودفعها إلى الخلف ، ليطرح بطلنا أرضًا ، ثم قفز فوقه قبل أن ينهض ، وكال له اللكمات القوية ، واحدة بعد أخرى ، قبل أن يفلت

(ممدوح) من إحْداها ، ويلكم خصمه لكمة أودعها كل قوته ، فدفعت الرجل من فوقه ، وألقته على الناحية الأخرى ، وأتاحت لـ (ممدوح) الفرصة لينهض ويواجه خصمه مرة أخرى ..

ولكن الرجل لم ينهض ..

لقد أصابته لكمة (ممدوح) فى نقطة جعلتها أشبه بالضربة القاضية الفنية ، كما يطلقون عليها فى عالم الملاكمة ، ففقد الرجل وعيه على الفور ..

وتنهَّد (ممدوح) فى ارتياح ، ولكنه لم يكد يرفع عينيه عن غريمه الفاقد الوعى ، حتى تجمَّدت الدماء فى عروقه ، فلقد أيقظت جلبة القتال رجال (الكانتا) الخمسة عشر ، الذين يقفون الآن فى مواجهته ، وعيونهم تنطق بالشر .. وبالموت ..

* * *

كانت نتيجة المعركة واضحة ، لا تقبل الجدل ..

خمسة عشر شيطانًا فى مواجهة رجل واحد ..

ولكن فجأة .. انقلبت الأمور رأسًا على عقب

انهالت الرصاصات كالمطر من أنحاء الجبل ، نحو رجال

(الكانتا) ، الذين تدافعوا هاربين فى ذُعر ودهشة .. ولم تلبث المعركة أن احتدمت بينهم وبين عدد من الرجال المختفين خلف الصخور ..

وانتهز (ممدوح) الفرصة ، على الرغم من دهشته ، وأسرع يختفى خلف صخرة قريبة ، وقد استلَّ مسدسه تحسُّبًا للظروف ، ولكنه شعر بيد تجذبه فجأة من الخلف ، وسمع صوتًا مألوفًا مازحًا يقول :

ـ هيَّا بنا يا صديقى .. ما هذه المعركة إلَّا تأمين لانسحابك .

التفت (ممدوح) إلى صاحب الصوت ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ أنت مرَّة أخرى ؟!

ضحك (قاسم) ، وهو يقول :

ـ معذرة يا صديقى .. لقد تجاهلت رغبتك فى ابتعادى عن تلك العملية ، بعد أن أخبرنى أحد رجالى أن مجموعة من (الكانتا) تقترب من هنا ، ومعهم عدد من الكلاب المتوحِّشة .. ولقد خشيت أن تميِّز الكلاب رائحتك ، وأعتقد أننى وصلت فى الوقت المناسب .

هتف (ممدوح) :

ـ إنك تصل دائمًا فى الوقت المناسب يا صديقى .. إننى أشعر أحيانًا أنك لست مجرَّد صديق ، بل أنت ملاكى الحارس .

ضحك (قاسم) ، وهو يقول :

ـ اتبع ملاكك الحارس إذن .. فها هم أولاء رجالى يلوِّحون لى ، مؤكدين أننا قد انتصرنا ، وربحنا هذه الجولة ضد شياطين (الكانتا) يا صديقى .

ثم أردف فى جدِّية :

ـ ولكن المباراة لم تنته بعد .

* * *



٦ ـ وسيط الشيطان ..

تلفَّت (قاسم) حوله يمنةً ويسْرةً، بعينين قلقتين ، ثم قال لـ (ممدوح)، وهو يقبض على مسدسه فى قوة :

ـ لست أحبِّذ ذهابك بمفردك إلى ذلك القصر .

ممدوح :

ـ لا تقلق .. إنهم لا يريـدون التخـلُّص منِّـى الآن ، فـ (كوروش) ـ فيمـا يـبـدو ـ يريـد من ذلك الرجـل (طاغوخان) أن يتفق معى على أمر ما ، أو يحصل منِّى على معلومة ما ، قبل أن يقرِّر مصيرى ، وذهابى إليه متسلِّلاً سيمنع رجاله من مفاجأتى .

قاسم :

ـ ولكن كن على حذر ، فنحن لا نعرف أيَّة خُطَّة يدبِّرها لك ذلك الشيطان وأعوانه .

تبادل الاثنان هذا الحديث ، وهما يجتازان دربًا صغيرًا بين الأغصان المتشابكة ، التى تقودهما إلى نهر ضيِّق ، تمتـد على

شاطئه الآخر مساحة شاسعة من الحشائش ، تنتهى عند قصر منيف ، يحيط به سور عظيم الارتفاع ، حتى ليكاد يحجبه عن الأنظار ..

وكان (ممدوح) يقول فى همس :

ـ هل أنت واثق من أن هذا هو قصر (طاغوخان) ؟

قاسم :

ـ نعم .. فلقد ابتاعه منذ سنوات ، منتحلاً شخصية تاجر ثرىّ .

ممدوح :

ـ حسنًا .. سأعبُر ذلك النهر إلى هناك ، وأحاول مقابلته ، فى حين تنتظرنى أنت هنا لحين عودتى .. وإذا لم أعد خلال أربع ساعات ، يمكنك أن تتدخَّل بالوسيلة التى تراها مناسبة ، ولكن لا تحاول القيام بدور الملاك الحارس قبل ذلك أبدًا ، وإلَّا أفسدت كل شىء .

قاسم :

ـ ليكن .. وفَّقك الله .

ودَّعه (ممدوح) ، ثم قفز إلى النهر ، وأخذ يسبح فى سرعة ومهارة ، حتى وصل إلى شاطئه المقابل ، وتابع سيره فوق

الحشائش القصيرة ، متّجهًا إلى القصر ، دون أن يعترضه شيء ..
ولكنه لم يكد يقترب من السور المرتفع ، حتى انغرزت أمامه ، وعلى بعد سنتيمترات منه ، حربة طويلة ، مزدانة بأربطة من الحرير الملوّن ، وتبعتها ثانية ، فثالثة ، وكل واحدة تزداد قُربًا منه ، فرفع رأسه ليطالعه أربعة رجال فوق السور ، يحملون بين أيديهم مزيدًا من تلك الحراب ، وصاح أحدهم فى حزم :

ــ سيكون مستقرّ الحربة الرابعة فى صدرك ، لو تقدّمت خطوة واحدة زائدة .

ولم يكد الرجل يتمّ عبارته ، حتى فُتح الباب الأمامى للقصر بغتة ، واندفع منه خمسة أشخاص ، أحاطوا (ممدوح) بأسلحتهم ، فابتسم وهو يقول فى هدوء ، مشيرًا إلى بندقية أحدهم الآلية :

ــ كدت أظن أنكم لا تميلون إلى استخدام هذه الأسلحة الحديثة ، وتفضلون تلك التى لا تحدث ضجيجًا ، مثل هذه الحراب .

قفز أحد الرجال الأربعة من فوق السور المرتفع ، واستقرّ فى مرونة وبساطة على قدميه ، وكأنه لاعب سيرك محترف ، وهدّد (ممدوح) بحربته قائلًا :

ــ من أنت ؟ وما الذى جاء بك إلى هنا ؟
أجابه (ممدوح) فى برود :

ــ اسمى (ممدوح عبد الوهاب) .. ولقد جئت لمقابلة سيّدكم (طاغوخان) .. اذهب وقل له إن المصرى ، الذى يبحث عنه ، قد جاء إليه من تلقاء نفسه ، ودون الحاجة إلى مطاردة مملّة .

تطلّع الرجل إلى وجه (ممدوح) فى برود ، ثم أشار إلى الآخرين ، فدفعوا هذا الأخير إلى الداخل فى خشونة ، ولم يكد (ممدوح) يعبُر بوّابة القصر ، حتى فوجئ بأن داخله يختلف تمامًا عن خارجه ..

كان القصر من الداخل تحفة فنية معمارية رائعة ، وقد أحاطت به عشرات التماثيل الرخامية والبرونزية ، وامتدّت حديقته على الطراز العربى الإسلامى على نحو غاية فى الجمال ..

وأمر الرجل رجاله باحتجاز (ممدوح) ، وأسرع هو يخبر سيّده بمقدمه ، ثم لم يلبث أن عاد ليأمرهم بإحضار (ممدوح) إلى الداخل ..

وقاد المسلحون (ممدوح) إلى داخل القصر ، حيث توجد (نافورة) رائعة ، صُنعت جدرانها من الرخام والأحجار الملوّنة ،

والماء ينبعث داخلها من أفواه تماثيل ، فى حجم وشكل الغزلان الصغيرة ، ويجلس أمامها رجل بدين ، ضخم الجثة ، تتدلَّى كرشه أمامه على نحو مقزِّز ، ويتطلَّع إلى (ممدوح) بعينين منتفختين ، ورأس أصلع ، وقد أحاطت به الحسناوات ، بحيث بدا المشهد أقرب إلى عصور المماليك القديمة ، خاصَّة مع وجود تلك المائدة الممتدَّة أمامه ، والتى اصطفَّت فوقها أطيب المأكولات والفواكه المختلفة ..

ولم يكد ذلك البدين يرى (ممدوح) ، حتى ابتسم فى دهاء ، وصفَّق بيده ، فأسرعت الحسناوات ينصرفن فى هدوء ، ثم أشار إلى المسلحين ، قائلًا فى صوت منخفض :

ــ انصرفوا .

أطاع الرجال الأمر فى سرعة ، وبقى (ممدوح) وحده أمام الرجل ، الذى أشار إليه أن يجلس إلى جواره ، وهو يقول :

ــ مرحبًا بك فى (كشمير) يا سيِّد (ممدوح) ، تفضَّل بالجلوس .

جلس (ممدوح) ، وهو يتطلَّع إلى الرجل فى دهشة ، فقد بدا أكثر شبهًا بتلك الصورة الكاريكاتيرية لتنابلة السلطان ، منه إلى أحد أكبر أعوان ذلك الشيطان (كورُوش) ، الذى تُحاك حوله الأساطير ..



ويجلس أمامها رجل بدين ، ضخم الجثة ، تتدلَّى كرشه أمامه على نحو مقزِّز ، ويتطلع إلى (ممدوح) ..

وقال الرجل فى لهجة وَدُود :

ـــ أرجو ألا يكون رجالى قد أساءوا معاملتك !

ممدوح :

ـــ لقد أرادوا إخافتى فقط ، باستخدام بعض الحراب الملوَّنة .. ولكن يبدو أن هذه الوسيلة لا تخيفنى كثيرًا .

أطلق الرجل ضحكة عالية مجلجلة ، ارتجَّ لها جسده البدين ، قبل أن يقول :

ـــ يبدو أنك تجيد المزاح يا صديقى .

ثم أشار إلى المائدة ، مستطردًا فى حماس :

ـــ ما رأيك فى مشاركتى هذا الطعام الشهىّ ؟

أجابه (ممدوح) فى جدِّيَّة :

ـــ أعتقد أنه من الأفضل أن تشاركنى أنت الحديث ، وتوضِّح لى سرّ سعى (كوروش) لعقد مقابلة بيننا .

ابتسم (طاغوخان) ، قائلًا فى خبث :

ـــ إنك تبدو شجاعًا واثقًا بنفسك يا صديقى ، ولكن الشجاعة لو لم يواكبها رجاحة العقل والذكاء ، غَدَت نوعًا من الحماقة .. ومنذ مقدمك إلى (كشمير) وأنت تسعى خلف بطولات حمقاء .. فلقد حطَّمت حانوت (توروك) ، وتسبَّبت

فى مصرع اثنين من رجالنا ، وانضممت إلى مجموعة من الهمج ، لتقحم نفسك فى صراعات لا شأن لك بها ، فهل هذا هو الهدف الذى أرسلتك حكومتك إلى (كشمير) من أجله ؟

ممدوح :

ـــ بل جئت للتفاوض مع (كوروش) .. ولقد أخبرت ذلك الغبىّ (توروك) بهذا منذ البداية .. ولكنه جمع أعوانه ، ولجأ إلى العنف بدلًا من التفاوض .

طاغوخان :

ـــ التفاوض من أجل ماذا ؟.. إن مطلب (كوروش) محدود ،ماسات (نور الشفق) الثلاث ، مقابل منع الوباء ، والمهلة التى منحكم إياها لم يتبق منها سوى أربعة أيام .. ثم ألم يخبرك (قاسم) وأعوانه أن مقابلة (كوروش) من رابع المستحيلات .. اسمع أيها المصرى .. إذا أردت نصيحتى فسارع بالاتصال بمسئولى دولتك ، وأخبرهم أن الزمن لا يسير لصالحهم ، وأنهم سيرتكبون خطأً فادحًا فى حق شعبهم . لو رفضوا الاستجابة لمطالب (كوروش) ، فهذه الماسات لن تساوى الكارثة الرهيبة ، التى ستشتعل فى دولتك ، لو أطلقت الفئران الموبوءة من صناديقها .

ممدوح :

ـــ ومن يضمن أنكم ستمنحوننا خريطة صحيحة لأماكن الصناديق ، بعد حصولكم على الماسات ؟

طاغوخان :

ـــ اسمع يا صديقى .. لا توجد عداوة بيننا وبين شعبكم .. وليس هناك ما يدفعنا لنشر الوباء فى دولتك ، بعد حصول (كوروش) على الماسات ، فهذا كفيل بتوجيه أنظار العالم كله إلينا ، وهذا ما لا نريده .. إننا نريد الماسات فحسب .

ثم استعاد لهجته الودود ، وابتسامته الماكرة ، وهو يستطرد :

ـــ إن (كوروش) ليس مجرَّد زعيم لعصابات (الكانتا) كما تتصوَّرون .. إنه رجل حكيم راجح العقل ، وإلا فما احتمل كل حماقاتك السابقة هذه .. لقد حدَّدنا لكم زمان ومكان تسليم الماسات الثلاث ، وإذا أردت أن تؤدى عملًا نافعًا ، بدلًا من الانغماس فى مغامرات حمقاء ، فأحضر الماسات بنفسك ، وسآتى أنا ورجالى لتسلُّمها ، وتسليمك الخريطة طبقًا للخُطَّة المحدودة .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. سأعاود الاتصال برؤسائى ، لمعرفة رأيهم .

اتسعت ابتسامة (طاغوخان) ، وهو يلتقط عنقودًا من العنب ، ويقول :

ـــ هكذا يكون العقل والحكمة .

ثم صفَّق بيديه ، ليأتى أحد رجاله ، والتفت إلى (ممدوح) قائلًا :

ـــ سيوصلك رجالى إلى الجانب الآخر من النهر ، وسنكون فى انتظارك فى الموعد المحدود .

نهض (ممدوح) لينصرف ، إلَّا أن (طاغوخان) استوقفه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ تذكَّر أننا قد عاملناك بمنتهى الحكمة والعقل حتى هذه اللحظة ، ولكن حذار أن تعاود محاولاتك الحمقاء للخداع والمراوغة ، أو إقحام نفسك فى مغامرات وبطولات وهمية ، وإلَّا دفعت أنت وشعبك الثمن .. فصحيح أن (كوروش) رجل حكيم ، ولكنه حينما يغضب ينقلب إلى وحش كاسر .. تذكَّر هذا .

تجاهل (ممدوح) لهجته الصارمة ، وقال فى برود :

ـــ أتمنَّى لك ألا تصاب بعسر الهضم .

ثم انصرف فى هدوء ، وتابعه (طاغوخان) ببصره ، ثم ابتسم فى شراسة ، وهو يهمس لنفسه :

ـ اطمئن أيها المصرى .. إن معدتى قوية ، وقادرة على هضم كل شىء .. حتى أنت إذا اقتضت الظروف ..

* * *



٧ ـ مخاطرة جنونية ..

ارتشف (ممدوح) قدح القهوة ، وهو يتكئ إلى جوار (قاسم) ، على مجموعة من الوسائد الناعمة ، داخل ذلك المنزل الخشبىّ المختفى فى باطن الجبل ، وقال لـ (قاسم) فى لهجة آسفة يائسة :

ـ يبدو أنه لا مناص من تسليم هذه الماسات لـ (كوروش) ، وإلَّا حاقت الكارثة بوطنى .

قاسم :

ـ نعم .. أعتقد أنه لا مفرَّ من قبولك عرض (طاغوخان) .

ممدوح :

ـ إذن فقد فشلت مهمتى هذه المرَّة .

ارتشف (قاسم) قدح القهوة فى هدوء ، وأشعل غليونه وهو يقول :

ـ من قال هذا ؟

تطلَّع إليه (ممدوح) فى تساؤل ، فتابع فى هدوء ، وهو يواصل إشعال غليونه :

ــ إنك ستسلمهم الماسات فى الزمان والمكان المتفق عليه ، وتتسلَّم منهم الخريطة ، وبعدهـا سأُطْبِقُ عليهم مع رجـالى ، ونسترد الماسات ثانية .

ممدوح :

ــ ولكنها مخاطرة جنونيـة .. فـ (كوروش) ومساعـده البدين ليسا بالغبيين .. ولا ريب أنهما سيعدان عدتهما لمختلف الاحتمالات ، قبل إجراء عملية التبادل فى الجبل ، ثم إننا لن نعلم حينئذ ما إذا كانت الخريطة صحيحة أم لا .. وحتى لو كانت صحيحة ، فنحن لا ندرى ما إذا كانت لدى (كوروش) وسيلة لإطلاق الفئران قبل الموعد المحدود، فى حالة حدوث أى تعديل أم لا .

قاسم :

ــ لا أظنهم يهتمون سوى بالحصول على الماسات الثلاث ، وإذا ما لمسوها بين أيديهم فى (كشمير) .. فلن تراودهم إلَّا فكرة الاحتفاظ بها ، حتى ولو أهملوا الانتقام منكم تمامًا .

ممدوح :

ــ ولكن لماذا يُولِى (كوروش) هذه الماسات كل هذا الاهتمام ، فى حين لا تبلغ قيمتها قطرة فى بحر ثروته ؟

نفث (قاسم) دُخان سيجارته ، وهو يتطلَّع إلى سقف الكوخ الخشبىّ ، قبل أن يقول :

ــ الأمر يتجاوز القيمـة المادية البحتة لهذه الماسات يا صديقى .. فهناك أسطورة تقول إن كل من يمتلك ماسات (نور الشفق) سيحوز قوةً وثراءً بلا حدود ، شريطة أن يحسن استخدامها .

تطلَّع إليه (ممدوح) فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ــ لست أفهم ما يعنيه هذا !!

ابتسم (قاسم) ، قائلًا :

ــ هناك العديد من الأشياء التى يصعب فهمها فى (كشمير) يا صديقى .. ولكن يكفى أن تعلم أن هناك من يؤمن بوجود قوى خفية فى هذه الماسات ، عند استخدامها على نحو خاص .

ممدوح :

ــ وهل أنت ممن يؤمنون بذلك ؟

قاسم :

ــ تقريبًا .. فالاعتقاد السائد فى أسرتى هو ضرورة الحفاظ على هذه الماسات ، ليس من أجل قيمتها المادية والتاريخية فحسب ، ولكن لحمايتها من الوقوع فى أيدى الأشرار ، الذين قد يسيئون استخدامها .

ممدوح :

ــ رواية عجيبة ؟!

قاسم :

ــ دَعْك منها ، وقل لى ماذا قرَّرت ؟

ممدوح :

ــ أعتقد أننى أميل إلى خُطَّتك الجنونية ، على أن تتخذ كافة أساليب الحيطة والحذر .

قاسم :

ــ اطمئن .. فليس (كوروش) وحده الخبير بأسرار الجبال ودُروبها .. أنا أيضًا أفوقه خبرة ، ولكن المهم أن نصل قبلهم إلى موقع المبادلة .

نهض (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ قُم بعملك يا صديقى ، وسأعود أنا إلى المدينة مؤقَّتًا ؛ لأجرى اتصالاتى مع رؤسائى عن طريق مندوبنا هناك .

قاسم :

ــ فليقم كل منا بعمله يا صديقى .. ولعلنا ننهى المباراة بهذه الجولة مع شياطين (الكانتا) .

* * *

وصل الرائد (رفعت) إلى مطار (كشمير) مع خيوط الفجر الأولى .. ولم يكد يغادر مبنى المطار ، حتى وجد سيارة سوداء صغيرة تنتظره ، وسمع قائدها يهتف به فى صوت خفيض :

ــ هيًّا يا (رفعت) .. اقفز إلى السيارة .

ألقى (رفعت) جسده على مقعد السيارة ، التى انطلقت به فى سرعة ، والتفت إلى قائدها ، وابتسم وهو يقول :

ــ كيف حالك يا سيادة المقدِّم ؟

أجابه (ممدوح) :

ــ فى خير حال حتى هذه اللحظة يا (رفعت) .. ولكن الأخطار تحيط بنا ، وتواكبنا فى كل لحظة ، وتلك السيارة التى تلاحقنا دليل على ذلك .

تطلَّع (رفعت) عبر مرآة السيارة إلى السيارة الصفراء ، التى تتبعهم ، ثم قال :

ــ يبدو أنهم يظنوننى أحمل الماسات الثلاثة ، ويريدون الاطمئنان على أن غيرهم لن يحصل عليها .

ممدوح :

ــ ربَّما .. ولكننى سأسعى جاهدًا لتضليلهم .. فأنا أعتقد أنهم سيقدمون على عمل أكثر تهوُّرًا من مجرَّد المراقبة .

رفعت :

ــ ولماذا تظن هذا ؟

ممدوح :

ــ لو أن المراقبة كل هدفهم ، لحافظوا على المسافة بين سيارتينا ، ولكنهم يحاولون الاقتراب فى الواقع .. وهذا يؤكِّد أن (كوروش) وعصابته لا يطيقون صبرًا على انتظار عملية التبادل ، ولا ريب أنهم يضمرون لنا السوء الآن .

رفعت :

ــ وأين الماسات الثلاث ؟

ممدوح :

ــ لقد أخفيتها فى مكان أمين ، بعد أن تسلَّمتها من مندوبنا الخاص فى سفارتنا هنا .

رفعت :

ــ لماذا استدعيتنى إذن ؟

ممدوح :

ــ لأنهم سيظنون أنك تحمل الماسات كما حدث فعلًا يا صديقى ، وسيبعدهم هذا عن التفكير فى أيَّة نقطة أخرى .. ثم إننى أدخرك لمهمة هامة ، سأخبرك بها فيما بعد .

رفعت :

ــ ولكننى أحمل إليك رسالة هامة من سيادة اللواء (مراد) .. فهو يطالبك بتسليمهم الماسات فعلًا ، إذا ما عجزت عن الحصول على الخريطة دون ذلك .. فالتضحية بهذه الماسات أقل خسارة بكثير من المخاطرة بمواطنينا .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ــ وما رأيك أنت ؟

رفعت :

ــ هذا يتوقَّف على خُطَّتك .. فلو أنك قد أعددت خطة مضمونة ، يمكنك بها إنقاذ الموقف ، دون تعريض البلاد لخطر الوباء ، فأنا رهن إشارتك .. أما لو كانت احتمالات نجاح هذه الخُطَّة ضعيفة ، فأنا أرى ضرورة الالتزام بالأوامر ، التى تحظر التضحية ، والمخاطرة غير مأمونة العواقب .

كان (ممدوح) يستمع إلى زميله ، وهو ينطلق بسيارته بأقصى سرعة ، فوق طريق جبلى ضيِّق ، وانحرف يسارًا كسهم

خاطف ، فى حين واصلت السيارة الصفراء مطاردتها له فى إصرار ، فاستطرد (رفعت) وهو ينظر من نافذته إلى الوادى السحيق ، الذى ينتهى إليه انحدار الطريق من الجانب الآخر :

ــ يا له من استقبال تستقبلنى به (كشمير) !!

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ دَع القلق يا صديقى ، وحاول أن تستمتع بجمال الطبيعة .

هتف (رفعت) فى استنكار :

ــ جمال الطبيعة ؟! .. وأنت تقود بهذه السرعة ، وخلفنا سيارة تهدُف إلى النيل منّا ؟!

ولم يكد يتم عبارته ، حتى انطلقت الرصاصات من السيارة الصفراء ، نحو سيارة (ممدوح) ، الذى زاد من سرعته فجأة ، وهو يقول :

ــ يبدو أن المطر قد انهمر بسرعة يا صديقى .

لم يستمع إليه (رفعت) ، فقد تعلَّق بصره بنهاية الطريق ، الذى بدا أكثر ضيقًا ، وبلافتة تحذيرية تقول : إن هذه هى نهاية الطريق الجبلى ، وإن الاستمرار يعنى السقوط فى الهاوية ، وعلى راكبى السيارات العودة ، واستخدام طريق فرعى آخر ..

ولكن (ممدوح) لم يتوقَّف ..

وتابعت سيارته انطلاقها ، وحطَّمت اللافتة التحذيرية ، ثم مال بها يسارًا ، ودفع دوّاسة الوقود بقدمه فى قوة ، وانطلق بسرعتها القصوى ..

انطلق إلى الموت ..

* * *

جفَّت الدماء فى عروق (رفعت) ، حينما رأى عجلات السيارة اليمنى ترتفع عن الأرض ، والسيّارة تنطلق مائلة ، كما يحدث فى العروض الانتحارية ، وتجتاز منطقة الخطر فى براعة منقطعة النظير ، والهوَّة تبدو أمامه سحيقة لا قرار لها ، فصاح فى ذهول :

ــ يا إلهى !! .. كيف فعلت هذا ؟ .. كيف فعلت هذا ؟

واندفعت خلفهم السيارة الأخرى ، وحاول قائدها اتباع الوسيلة نفسها ، إلا أنه فوجئ بعجلاتها اليمنى تدور فى الهواء ، فوق الهوَّة ، وقبل أن يتفادى الأمر ، أو يصرخ مستنجدًا ، هوت السيارة بركابها فى الهوَّة السحيقة ..

وتجاوز (ممدوح) منطقة الخطر ، فأعاد السيارة إلى وضعها الطبيعى ، وهو يستمع إلى (رفعت) ، الذى ظلَّ يردِّد فى ذهول :

ـــ كيف فعلت هذا ؟

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ إنه أمر بسيط ، سرعان ما تتعلَّمه يا صديقى .

هتف (رفعت) :

ـــ لقد واجهت فى عملى الكثير من المخاطر ، ولكننى أشعر اليوم أنه مازال أمامى الكثير لأتعلَّمه .

صمت (ممدوح) لحظة ، ثم قال فى هدوء وحزم :

ـــ استرخِ الآن يا صديقى ، وأنصت إلى كلماتى جيِّدًا ، فسأخبرك بخطَّتى للإيقاع بشياطين (الكانتا) ، وشيطانهم الأكبر (كورروش) .. استمع إلىَّ .

* * *



٨ ـــ معركة الجبل ..

وصل (ممدوح) إلى مكان المبادلة ، الذى عيَّنه (كورروش) ، على متن أحد الجبال ، وفى صحبته دليل محنَّك ، خبير بدروب الجبال الوعرة .. ولم يكد يصل إلى تلك المنطقة الجبلية ، التى تحيط بها الصخور والمنحدرات الحادة ، حتى تركه الدليل وحده ، وعاد أدراجه ..

وكان (قاسم) ورجاله قد وصلوا منذ الفجر ، واتخذوا مواقعهم بين الصخور والمرتفعات ، على نحو يصعب معه كشفهم ، انتظارًا للهجوم الحاسم ..

وطال انتظار (ممدوح) ، حتى مالت الشمس إلى الغروب ، دون أن يظهر (طاغوخان) ورجاله ، وشعر (ممدوح) بالإجهاد ، فأغمض عينيه لحظة ، ليريحهما من وهج الشمس الغاربة ، التى نشرت أشعَّتها على الجبال ، قبل أن تبدأ رحلة الرحيل .. ولم يكد يفتحهما حتى اتسعتا فى دهشة ، فقد بدا وكأن الجبال قد انشقَّت عن عشرين رجلًا من رجال (الكانتا) ، يحيطون به من كل جانب ، وهم يلتحفون بعباءاتهم السَّوداء ..

وهبَّ (ممدوح) واقفًا ، أمام هذا التحوُّل المفاجئ ، الذى حدث دون أدنى صوت ملحوظ .. وتطلَّع إلى رجال (الكانتا) ، الذين لوَّحوا بأيديهم فى صمت ، فظهرت على قمة الجبل أربعة خيول ، يمتطى أحدها ، فى المقدِّمة ، (طاغوخان) ، بجسده البدين ، وكرشه المكتنظة المتدلِّية أمامه ..

وهبطت الخيول بحملها حتى موقع (ممدوح) ، وهبط (طاغوخان) من فوق صهوة جواده ، وابتسم ابتسامة بلهاء ، وهو يقول :

ـــ ها نحن أُولاء نلتقى ثانيةً يا صديقى .. معذرة للتأخير ، فقد كان من الضرورى أن نفحص المكان ، ونتأكَّد من أنك لن تلجأ إلى مغامرة جديدة حمقاء .

ممدوح :

ـــ لقد فاجأنى رجالك حقًّا ، حتى ظننت أن الأرض قد انشقَّت عنهم .

ضحك (طاغوخان) ، قائلًا فى زهو :

ـــ رجال (الكانتا) يزحفون كالثعابين بين صخور الجبال يا صديقى ، دون أدنى صوت .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ مُرْهُم بعدم رفع لثامهم إذن ، وإلَّا برزت أنيابهم السامة .

أطلق (طاغوخان) ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

ـــ ألم أقل لك إنك تهوَى المزاح أيها المصرى ؟

ثم تلاشت ضحكته فجأة ، ليستطرد فى اهتمام :

ـــ هل أحضرت الماسات معك ؟

ممدوح :

ـــ نعم .. ولكننى لن أسلِّمها لك قبل أن أتسلَّم الخريطة أوَّلًا .

تطلَّع إليه (طاغوخان) فى استخفاف ، وهو يقول :

ـــ أنت وحيد هنا أيها المصرى ، ويحيط بك عشرون من أشرس رجالى ، لن يتردَّدوا عن تمزيقك إربًا ، وانتزاع الماسات من تحت جلدك .. فلا تفرض علىَّ شروطك .

أجابه (ممدوح) فى ثقة وهدوء :

ـــ لا أظن تعاملك معى قد أنبأك أننى ممن يرهبهم التهديد ، أو يخشون الموت .. وأنا لا أميل لمواجهة المخاطر بالانتحار كما يفعل الجبناء عند فشلهم .. ثم إن رجالك لن يعثروا على الماسات تحت جلدى ، أو فى طيَّات ملابسى ، فأنا لا أحملها ، وإنما أخفيتها فى مكان ما بالجبل .

تقلَّصت ملامح (طاغوخان) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ أين ؟

ابتسم (ممدوح) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ لِمَ لا تأمر رجالك بالتنقيب عنها فى الجبال كلها ؟

ارتجفت عين (طاغوخان) فى حركة عصبيَّة ، أعقبها بابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. لقد هزمتنى أيها المصرى .

ثم تناول من جيبه ورقة مطويَّة ، ناولها لـ (ممدوح) ، مستطردًا :

ـــ ها هى ذى الخريطة ، وستجد بها مواقع الصناديق ، وأسماء رجالنا المكلَّفين إطلاق الفئران .

تناول (ممدوح) الخريطة ، وفحصها فى عناية ، فى حين أردف (طاغوخان) بلهجة تشفّ عن نفاد الصبر :

ـــ والآن أين الماسات ؟

دحرج (ممدوح) بقدمه حجرًا صغيرًا ، كان يستقر أسفل قدمه اليسرى ، وهو يقول فى برود :

ـــ ستجدها داخل هذا الحجر .

زمجر (طاغوخان) فى شراسة ، وهو يقول :

ـــ هل تسخر منِّى ؟

عاد (ممدوح) يقول فى برود :

ـــ افحصه أولًا .

التقط (طاغوخان) الحجر ، وفحصه فى عناية ، ولدهشته وجده حجرًا متقن الصنع ، من المستحيل تمييزه وسط مجموعة من الأحجار الحقيقية ، سوى ذلك النتوء البارز فى جانبه ، والذى أشار إليه (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ ادفعه إلى أعلى .

دفع (طاغوخان) النتوء إلى أعلى ، والتمعت عيناه ببريق الظفر ، حينما انشقَّ الحجر الصناعى إلى نصفين ، كاشفًا فراغًا استقرَّت فيه الماسات الثلاث ، وهتف (طاغوخان) فى فرح ، وهو يرفع الماسات إلى أعلى :

ـــ أخيرًا .. ماسات (نور الشفق) يا رجال .

ارتفع هتاف رجال (الكانتا) ، وهم يصيحون فى قوة :

ـــ صار المجد والقوة لنا ..

وفجأة .. ردَّدت الجبال أصوات الرصاصات ، وانفجارات القنابل اليدوية ، واندفع أعوان (قاسم) من مخابئهم ،

يهاجمون رجال (الكانتا) ، وتحوَّل الجبل فى لحظة إلى حومة قتال ..

واحتقن وجه (طاغوخان) غضبًا ، ورفع مسدسه فى وجه (ممدوح) ، وهو يصرخ فى جنون :

ــ لقد خدعتنا أيها المصرى .. والآن مُت ..

★ ★ ★

قبل أن يضغط (طاغوخان) زناد مسدَّسه ، انتفض جسده فى قوة ، وهو يتلقَّى عشرات الرصاصات ، التى اخترقت رأسه ، وصدره ، وكرشه الضخمة ، فجحظت عيناه ، وسقط جثة هامدة ، وأفلتت الماسات الثلاث من يده ..

والتفت (ممدوح) إلى حيث يقف (قاسم) ، والدُّخان مازال يتصاعد من فوَّهة مسدسه ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ فى اللحظة المناسبة كالعادة أيها المقدَّم .

لم يبادله (ممدوح) عبارته هذه المرَّة ، وإنما أسرع ينحنى ليلتقط الماسات ، إلَّا أنه فوجئ بفوَّهة مسدس (قاسم) تلتصق برأسه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ مهلًا أيها الصديق .. هذه الماسات ملكى الآن .

اعتدل (ممدوح) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ هل يعنى موقفك هذا أنك تنوى الاستيلاء عليها ؟

قال (قاسم) فى سخرية :

ــ إننى أنوى هذا منذ البداية أيها المقدَّم .. أم أنك تظن مخاطرتى كانت من أجلك أنت ؟!

وفى هدوء أقرب إلى البرود .. التقط (قاسم) الماسات ، ثم عاد يصوِّب مسدسه إلى (ممدوح) ، مستطردًا :

ــ والآن .. ارفع يديك فوق رأسك يا صديقى ، وهيَّا نحتمى من وطيس المعركة التى شارفت على نهايتها ، بهذه الصخرة القريبة .

رفع (ممدوح) يديه فوق رأسه ، وأخذ يضغط بأصابعه جهازًا دقيقًا ، يختفى وسط شعره بشريط لاصق ، وهو يقول محاولًا كسب الوقت ، دون أن يشعر (قاسم) بما يفعله :

ــ إذن فأنت وأعوانك لستم سوى طغمة أخرى من الأشرار ، تهدُف إلى الحصول على الماسات .

قاسم :

ــ إنهم ليسوا كما تظن ، بل يمكنك أن تقول إنهم أكثر طيبة من اللازم ، فقد نجحت فى إقناعهم بأن الحصول على ماسات (نور الشفق) سيمنحهم القوة الهائلة ، التى تمكِّنهم من هزيمة

(كوروش) ورجاله ؛ لذا فقد أطاعونى وتبعونى حتى النهاية .. ولا تنس أن هذه الماسات ملك لى بالفعل ، فأنا آخر نسل صاحبها الأصلى ، ومكانها ليس فى متاحفكم ، أو مع ذلك الشيطان (كوروش) .

فى نفس هذه اللحظة ، كانت هناك مجموعة من رجال القوّات الخاصّة تنتظر بالقرب من المنطقة ، ومعهم الرائد (رفعت) ، الذى لم يكد يتلقّى تلك الإشارات الصادرة من الجهاز الإليكترونى الصغير الذى يختفى فى شعر (ممدوح) ، حتى قال فى حماس :

ـــ الآن يا رجال .

وبسرعة .. أصدر قائد القوّات الخاصة أوامره ، فقفز جنوده داخل عدد من طائرات الهليوكوبتر ، التى أقلعت على الفور ، واتجهت إلى ساحة المعركة .

وفى ذلك الوقت كان (ممدوح) يقول ، محاولاً كسب مزيد من الزمن :

ـــ لا تظن أنك قد فاجأتنى بموقفك هذا يا (قاسم) .. فلقد شككت فى أمرك منذ البداية .. ولقد بدا لى من العجيب ألا يمنحك (نصر الدين خان) هذه الماسـات ، بدلاً من

إهدائها إلى المتحف الإسلامى المصرى ، خاصةً أنك الوريث الوحيد الباقى من العائلة .. ولقد دفعنى هذا لجمع المعلومات عنك ، عن طريق مندوبنا فى سفارتنا هنـا .. وجاءت تلك المعلومات لتؤكّد أنك عضو فاسد فى عائلة (نصر الدين) ، وأن جرائمك وشرورك قد دفعت العائلة لنبذك ، وطردك لتحيا فى الجبال ، كما يحيا الخارجون على القانون .

ابتسم (قاسم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ معلومات رائعة أيها المقدّم .. احملها معك ، وأبلغ بها مندوبنا فى الجحيم .

ثم رفع مسدسه إلى رأس (ممدوح) ، وجذب إبرة إطلاق النـار ..

* * *

كانت أصابع (قاسم) فى طريقها لضغط الزّناد ، عندما ارتفع فجأة أزيز طائرات الهليوكوبتر ، وهى تقترب فى سرعة ، فالتفت إليها (قاسم) فى حركة حادّة ، وهو يهتف :

ـــ ما هذا ؟

وبسرعة انقضّ عليه (ممدوح) ، وقبض على معصم اليد الممسكة بالمسدّس ، وهوى بها على الصخرة القوية ، فسقط

المسدس من يد (قاسم) ، ثم دفع ركبته فى معدته ، ولكمه فى فكّه لكمة قوية ، جعلته يترنّح فى قوة ، ولكنه لم يسقط ، وإنما استعاد توازنه فى سرعة مدهشة ، وهوى بقبضته القوية على فكّ (ممدوح) ، ثم أعقب لكمته بأخرى فى مؤخرة عنقه ، جعلت رأس (ممدوح) يصطدم بالصخرة .

وفى سرعة ومهارة ، طوّق (قاسم) ذراعى (ممدوح) من الخلف ، وأمسك عنقه بكفّيه ، ثم دفع جبهته عدة مرّات فى قوة ، حتى سالت الدماء من جبهة (ممدوح) ، ولم يلبث ، على الرغم من مقاومته الشديدة ، أن سقط فاقد الوعى .

وفى حركة حادّة مفاجئة ، قفز (قاسم) على صهوة جواده ، وانطلق مبتعدًا عن ساحة المعركة ، التى انضمّ إليها رجال القوّات الخاصة ..

وفى جيبه كان يحمل ماسات (نور الشفق) ..

* * *



٩ ـ مواجهة الشيطان ..

أسرع (رفعت) نحو (ممدوح) ، وعاونه على النهوض وهو يهتف فى جزع :

ـ يا إلهى !!.. إنك مصاب .

ممدوح :

ـ دَعْك من هذا ، وخُذ هذه الخريطة لترسلها على الفور إلى القاهرة .. فلا بدّ من إحباط انتشار الوباء بأقصى سرعة ممكنة .

رفعت :

ـ وأنت ؟!

ممدوح :

ـ سأحاول اللّحاق بذلك الخائن .

رفعت :

ـ ولكن إصابتك بالغة !

ممدوح :

— لا تضيّع الوقت .. أرسل الخريطة إلى القاهرة على الفور .

تردَّد (رفعت) لحظة ، ثم انطلق ينفِّذ أوامر (ممدوح) ، الذى تحامل على نفسه ، وامتطى أحد الجياد ، وانطلق خلف (قاسم) ، الذى ابتعد بمسافة كبيرة ، والذى يعرف دُروب الجبل وخفاياه معرفة خبير ..

وفجأة .. صهل جواد (قاسم) فى قوة ، وأخذ يضرب الهواء بقوائمه ، قبل أن يهوِى فى حفرة انشقَّت فجأة أسفله ..

وسقط الجواد وراكبه ، وارتطم (قاسم) بالأرض فى قوة ، وانزلقت الماسات خارج جيبه ، فنهض فى سرعة ، على الرغم من آلامه ، وأخذ يتحسَّس الأرض بحثًا عن الماسات ، التى احتلت تفكيره فى لهفة ، وبدا له وسط العتمة بصيص من ضوء ، تألَّقت معه الماسات الثلاث ، فزحف (قاسم) نحوها كالمجنون ، ومدَّ أصابعه ليلتقطها ، ولكن أصابعه تسمَّرت فجأة فى موقعها ، وتعلَّق بصره بحذاء رجل ، يقف أمام الماسات تمامًا ..

ورفع (قاسم) عينيه إلى أعلى ، ثم خفق قلبه فى عنف ، وارتسمت على وجهه أبشع إمارات الرعب والفزع ، وهو يقول فى صوت مختنق مرتعد :



وفجأة .. صهل جواد (قاسم) فى قوة ، وأخذ يضرب الهواء بقوائمه ، قبل أن يهوى فى حفرة انشقَّت فجأة أسفله ..

— (كوروش) ؟!

* * *

لم تخف العتمة قامة (كوروش) المديدة ، ولا جسده النحيل ، وبدت عيناه ، على الرغم من الظلام ، وكأنهما تومضان بشعاع غير مرئى ، وعلى الرغم من بشرته الشاحبة كالموتى ، كانت عظام وجهه تبدو وكأنها تتقلّص فى سرعة ، كنمِر يتأهّب للانقضاض على فريسته ..

وتسمّر (قاسم) أمامه وكأنه تحت تأثير تنويم مغناطيسىّ ، وعندما تكلّم (كوروش) بدا صوته وكأنه يصدر من أعماق سحيقة ، وهو يقول :

— هل تظن الحشرات الصغيرة من أمثالك أنها قادرة على تحدّى (كوروش) ؟.. إننى أطأ مثلك بطرف حذائى .

ارتجف جسد (قاسم) فى قوة ، فى حين أردف (كوروش) فى غضب :

— لقد تركتك تعبث ، وتظن أنك الأذكى والأقوى ؛ لأننى كنت أعلم أن النصر سيكون لى فى النهاية .. وهأنتذا تحضر الماسات إلى هنا على الرغم منك .. لقد حانت لحظة الحساب .

ثم دفعه فى ازدراء وقوة ، وهو يردف فى لهجة صارمة آمرة :

— ألقوه للنسور الجائعة .

شعر (قاسم) بعشرات الأيدى تجذبه وتدفعه فى قوة ، فصرخ فى رعب وضراعة :

— كلّا .. كلّا .. الرّحمة .. لا أريد أن أموت .

وظلّ (كوروش) جامدًا ، ساكنًا ، وصوت قاسم يبتعد ويخفت ، حتى وصل به رجال (الكانتا) إلى قفص يمتلئ بالنسور المتوحّشة ، فدفعوه داخله ، وأغلقوا بابه خلفه ، وحاول المسكين أن يتشبّث بجدران وقضبان القفص ، وهو يصرخ :

— الرحمة !! الرحمة .

ولكن مخالب النسور الجائعة لا تعرف الرحمة ، خاصةً فيما يتعلّق بطعامها ..

* * *

انطلق (ممدوح) على صهوة جواده ، يبحث عن (قاسم) فى غضب .. ولم يكد يقترب من المكان الذى اختفى فيه غريمه ، حتى كان التعب قد بلغ منه مبلغه ، بعد أن تضاعفت آلامه ، وفقد الكثير من دمائه ..

وفجأة .. أظلمت الدنيا أمام عينيه ، ووقع من فوق جواده ،

وهو يفقد وعيه تدريجيًا ، دون أن يشعر بأولئك الرجال الذين صعدوا من باطن الأرض ، واقتربوا فى صمت وحذر ..

ثم استردَّ وعيه فجأة ..

استردَّه ليجد نفسه ممدَّدًا فوق فراش ضيِّق ، فى حجرة صغيرة ، تغطَّت جدرانها بستائر زرقاء اللون ، والضمادات تلف جبهته ..

وفى هدوء .. تحرَّك باب الحجرة ، وتقدَّم (كورروش) عَبْره إلى حيث يرقد (ممدوح) ، وخلفه اثنان من رجاله المسلحين ، ووقف إلى جوار الفراش بملامحه المخيفة ، وهو يسلِّط نظراته الحادَّة على (ممدوح) ، قبل أن يقول فجأة :

ـــ كانت لُعبة ذكية منك ، ألَّا تقدِّم لـ (طاغوخان) سوى ماسة واحدة حقيقية ، واثنتين زائفتين .. فأنت تعلن بذلك عن وجود الماسات معك ، وتمنح نفسك فى الوقت ذاته فرصة المساومة على القطعتين الباقيتين .

تجاهل (ممدوح) حديث (كورروش) ، وهو يغمغم :

ـــ من أنت ؟.. وأين أنا ؟.

ضاقت حدقتا (كورروش) على نحو مخيف ، وهو يقول :

ـــ أنت الآن أمام (كورروش) ، الزعيم الأكبر لعصابات (الكانتا) ، وفى أحد أوكاره الخفية فى قلب الجبل .

ممدوح :

ـــ يا للرَّوعة !. إذن فقد التقيت بالشيطان أخيرًا .

كورروش :

ـــ هذا صحيح .. والآن أين الماستان الباقيتان ؟

ممدوح :

ـــ لقد قلت بنفسك أن لُعبتى بارعة ذكية ، وتعلم أننى أخفى الماستين فى مكان ما داخل (كشمير) ، ولكنك لن تحصل عليهما قبل أن أتأكَّد بنفسى ، أن الخريطة التى سلَّمنى إيَّاها (طاغوخان) سليمة .

ارتسمت ابتسامة مخيفة على شفتى (كورروش) ، وهو يقول :

ـــ إنها سليمة أيها المصرى .. صحيح أننى كنت قد أصدرت أوامرى بالتخلُّص منك ، فور حصولنا على الماسات ، بسبب المضايقات التى سبَّبتها لنا .. ولكننى منحتك خريطة صحيحة طبقًا لاتفاقنا .. فحرصى على أن أظلَّ فى الخفاء يمنعنى من إصابة دولة كاملة بالوباء ، ما دامت قد رضخت لمطالبى .

ولكننى ما كنت أتردَّد فى نشر الوباء ، لو أنكم عمدتم إلى مقاومتى ، فأنا ألتزم بما أقول تمامًا .

ممدوح :

ـــ هذا الحديث يحتاج إلى دليل .

كورروش :

ـــ وما الدليل الذى تطلبه ؟

ممدوح :

ـــ لقد أرسلت الخريطة إلى (القاهرة) ، عن طريق زميل لى ، ولن أبوح بمخبإ الماستين الباقيتين ، قبل أن يصلنى تأكيد من (القاهرة) بأن الخريطة سليمة .

اتسعت ابتسامة (كورروش) المخيفة ، وهو يقول :

ـــ كنت أتوقَّع ذلك .. ولقد أعْدَدْت لك هذا الدليل .

وبفرقعة صغيرة من وسطاه وإبهامه ، غادر أحد الرجلين اللذين يتبعانه الحجرة ، ثم لم يلبث أن عاد إليها ، وهو يدفع الرائد (رفعت) أمامه ، مقيَّد اليدين ، واتسعت عينا (ممدوح) فى دهشة ، وهو يتطلَّع إلى رفيقه ، وهتف به وهم يحلُّون قيوده :

ـــ هل وصلت الورقة إلى القاهرة ؟

نقل (رفعت) بصره بين (ممدوح) ، و (كورروش) ورجليه ، وفهم من إشارة (ممدوح) السِّرِّية أنه يريد ردًّا صحيحًا ، فأجاب :

ـــ نعم .. ولقد تلقَّيت ردًّا يفيد بأنها صحيحة ، وأنه قد تمَّ القبض على الرجال الثلاثة ، الذين يقومون على حراسة الفئران ، التى تم إعدامها عن آخرها .

خشى (ممدوح) لحظة أن يكون (رفعت) قد أدلى بهذا تحت ضغط ما ، إلّا أن إشارة خفيَّة متفقًا عليها من (رفعت) ، جعلته يتأكَّد من صحة الأمر ، فتنفَّس الصُّعَداء ، بعد أن تأكَّد من زوال الخطر ، وسمع (كورروش) يقول فى صرامة :

ـــ والآن .. وبعد أن اطمأننت على سلامة مواطنيك .. أين الماستان الباقيتان ؟

ممدوح :

ـــ فى صندوق أمانات يحمل رقم (ثمانية) ، فى محطة قطار العاصمة ، ولكن مفتاحه ليس معى هنا .

كورروش :

ـــ اطمئن .. سأعرف كيف أفتحه .. ولكننى أحذِّرك ، لو كنت تخدعنى .. ستتمنَّى أنت وصديقك لو أنكما لم تريا وجهى قط ، وستأملان الموت فرارًا من جحيم (كورروش) .

* * *

١٠ ــ معقل الشر ..

مرَّت فترة من الوقت ، قبل أن يقول (ممدوح) لرفيقه ، فى صوت هامس :

ــ هل أنت مستعد ؟

رفعت :

ــ نعم .

وبسرعة خلع (رفعت) حذاءه ، والتقط من كعبيه جهازين صغيرين ، لهما مظهر البطاريات الجافة الصغيرة ، ثم نزع عدة أسلاك من نعل الحذاء ، ووضع الجهازين على جانبى الباب ، وأوصلهما بالأسلاك ، وابتعد قائلًا لـ (ممدوح) :

ــ أمامنا خمس دقائق فقط .

تطلَّع كلاهما إلى ساعته فى اهتمام ، ثم غمغم (رفعت) :

ــ الآن .

ولم تكد حروف كلمته تتلاشى ، حتى حدث انفجار مكتوم ، انخلع الباب بعده من مكانه ، وسقط أرضًا ، قبل أن

يتمالك حارسا الزنزانة نفسيهما ، من أثر المفاجأة .. كان (ممدوح) و (رفعت) قد باغتاهما بهجوم قوى سريع ، وقفزا فى الهواء ليركلاهما فى وجهيهما ، قبل أن يمسّ أيهما سلاحه ، ثم أعقبا ذلك بلكمات متوالية سريعة ، أسقطا بها الرجلين ، ثم التقط كل منهما مدفعًا رشّاشًا ، وانطلقا عَبْر الممر الطويل ، الذى قادهما إلى مخرج ، اعترض طريقهما فيه خمسة من رجال (الكانتا) ، ولكنهما بادراهم بوابل من الطلقات النارية ، على نحو انتحارى ، جعلهما يتغلَّبان عليهم فى سرعة ، ثم أكملا عَدْوهما عَبْر الممر ، الذى قادهما إلى رَدهة واسعة ، تحوى عددًا من الأجهزة والمعدَّات العلمية ، والكيميائية ..

وألصق (ممدوح) و (ورفعت) ظهريهما بعضهما ببعض ، اتقاء لأى هجوم مباغت ، وتشبَّث كل منهما بسلاحه ، وهما يتفحَّصان المكان حولهما ..

وفجأة .. أخذت حرارة المكان ترتفع فى سرعة ، يصحبها صوت كالأزيز ، وبدأ أحد السوائل المتجمِّدة يذوب فى سرعة ، ثم لم يلبث أن مال إلى الغليان ، فهتف (ممدوح) :

ــ هؤلاء الأوغاد يهدفون إلى حرقنا أحياء هنا ، لابدَّ أن نغادر المكان على الفور .

لاح لهما المخرج الوحيد للمعمل وهو يهبط إلى أسفل، وكأنما قرَّر رجال (الكانتا) سجنهما داخل المعمل، الذى بات أشبه بالفرن .. فانطلقا يعدُوان بأقصى سرعة، وقفزا لينزلقا أسفل الباب الهابط فى اللحظة الأخيرة .. وما أن أصبحا خارج المعمل حتى هبَّ (ممدوح) واقفًا، وتبعه (رفعت)، وكلاهما يشهر سلاحه، ووجدا أمامهما (توروك)، صاحب حانوت الحيوانات القصير، ومعه أربعة رجال، يصوِّبون إليهما أسلحتهم، وقال (توروك) لـ (ممدوح) فى سخرية :

— لقد نجحت فى الفرار من حانوتى فى المرة السابقة أيها المصرى، ولكن نجاحك وصديقك هذه المرَّة هو المستحيل نفسه، فألقيا سلاحيكما، وكونا عاقلين .

ممدوح :

— وماذا لو لم نفعل ؟

توروك :

— لو أردت رأيى، فأنا أميل إلى قتلكما على الفور، ولكن (كوروش) يطلبكما على قيد الحياة، ولكنه — فى الوقت ذاته — يؤكد ضرورة قتلكما فى حالة مقاومتكما .

تظاهر (ممدوح) بالرضوخ، ومدَّ سلاحه إلى الأمام

بكفَّيه، وكأنه سيلقى به أرضًا، ولكنه وثب فجأة نحو (توروك)، فى خفَّة وسرعة فهد، وأحاط عنقه بمدفعه الرشَّاش، وجذبه إليه فى قوة، فى حين رفع (رفعت) مدفعه فى وجوه رجال (الكانتا)، وهو يقول فى صرامة :

— والآن .. جاء دوركم لتستسلموا، وتلقوا أسلحتكم .

ظهر التردُّد على وجوه الرجال، فشدَّد (ممدوح) ضغط سلاحه على عنق (توروك)، الذى هتف فى صوت متحشرج مختنق :

— نفِّذوا ما يطلبانه منكم .

ألقى الرجال أسلحتهم فى حنق، فقال (ممدوح) فى صرامة، محدِّثًا (توروك) :

— عظيم .. من الواضح أنك لا تؤيِّد نظرية الفشل والانتحار .. والآن كيف تتحكَّمون فى حركة هذا الباب ؟

أومأ (توروك) إلى ذراع هيدروليكية إلى جوار الباب، وهو يقول

— بواسطة هذه الذِّراع .

ممدوح :

— وأين (كوروش) الآن ؟

تورروك :

ــ ذهب لإحضار الماسات .

التفت (ممدوح) إلى (رفعت) ، قائلًا :

ــ تكرَّم بفتح هذا الباب يا صديقى ، فهؤلاء الرجال يشعرون بالبرد ، ويحتاجون إلى بعض التدفئة .

ابتسم (رفعت) ، وهو يقول :

ــ يسعدنى أن نعمل على راحتهم .

ودفع الذراع ، وتحرّك الباب إلى أعلى ، وقال (ممدوح) ، فى سخرية :

ــ مرحبًا بكم فى الجحيم أيها السادة .

* * *

لم يكد (رفعت) يغلق باب المختبر خلف (تورروك) ورجاله ، حتى هتف به (ممدوح) :

ــ أسرع يا صديقى ، حتى نلحق بذلك الشيطان (كورروش) .

انطلق الاثنان إلى قاعة أخرى أكثر اتساعًا ، حيث وجدا قفص النسور المتوحّشة ، وأشار (ممدوح) إلى أعلى ، وهو يقول :

ــ هناك فتحة فوق قفص النسور ، أعتقد أنها تقود إلى الخارج .

رفعت :

ــ أعتقد ذلك ، فلا بدَّ لهذه النسور من هواء نقى .

ممدوح :

ــ دَعْنا نتسلق القفص إذن إلى هناك .

أسرع (رفعت) يتسلّق القفص فى خفّة وسرعة ، فى حين التقط (ممدوح) لفة من الحبال ، وربط طرفها فى باب القفص ، ثم فتح مزلاجه ، وأسرع يتسلّقه بدوره ، حاملًا لفَّة الحبال ..

وبينما كانا فى منتصف الطريق إلى أعلى القفص ، اقتحم المكان فجأة خمسة عشر رجلًا من رجال (الكانتا) ، وبصحبتهم (تورروك) ، الذى أشار إلى بطلينا ، وهو يهتف :

ــ أطلقوا عليهما النيران .

ارتفعت فوّهات المدافع الرشّاشة نحو (ممدوح) و (رفعت) ، ولكن (ممدوح) جذب الحبل فى قوة ، فانفتح باب القفص ، واندفعت عشرات النسور المتوحّشة تهاجم رجال (الكانتا) ، وتعمل مناقيرها ومخالبها فى أجسادهم ، وأخذ الرجال يحاولون حماية أنفسهم ، فى حين واصل (ممدوح)

و (رفعت) تسلقهما ، حتى اعتليا القفص .. وأخذ (رفعت) يطلق رصاصاته على النسور ، التى تحاول الاقتراب منه أو من (ممدوح) ، فى حين تطلَّع (ممدوح) إلى الفتحة فى اهتمام ، وكشف أنها جزء من بئر مهجورة ، تمتد منها سلالم حجرية إلى أعلى ..

وقفز (ممدوح)ليتعلَّق بحافة الفتحة ، وتبعه (رفعت) ، وتسلَّقا السلالم الحجرية فى حذر ، حتى قادتهما إلى جدار أملس ، يستحيل تسلُّقه ..

وبسرعة .. أشار (ممدوح) إلى (رفعت) ، الذى تركه يعتلى كتفيه ، بحيث صارت المسافة بين ذراعى (ممدوح) الممدوتين ، وحافة البئر المهجورة لا تتجاوز خمسين سنتيمترًا ..

وقفز (ممدوح) قفزة بارعة ، مكَّنته من التعلُّق بالحافة ، ثم صعد إلى خارج البئر ، وأدلى الحبل الذى يحمله إلى (رفعت) ، الذى صعد بدوره ..

واستلقى الاثنان خارج البئر المهجورة يلهثان ، ثم تطلَّع (رفعت) إلى ساعته ، وقال :

ـــ أمامنا ربع ساعة لنلحق بالهليوكوبتر ، التى تنتظرنا عند سفح الجبل .

وهتف (ممدوح) فى دهشة :

ـــ هليوكوبتر ؟!

رفعت :

ـــ نعم .. لقد طلبت من المسئولين فى (كشمير) إعداد طائرة هليوكوبتر ، تنتظرنا بصفة دائمة عند سفح الجبل ، بعد أن اختفيت أنت ، أملًا فى العثور عليك ، ونقلك إليها .. ومهمة قائد الهليوكوبتر تنتهى فى الرابعة مساءً ، حيث عليه أن يبلغ بفقدنا ، والساعة الآن الرابعة إلَّا الربع .

ربَّت (ممدوح) على كتفه ، وانطلق الاثنان ليواصلا مهمتهما ، ويقضيا على شيطان (الكانتا) .

* * *



١١ ــ الصراع الأخير ..

تحرَّك رجلان من رجال (الكانتا) بملابسهما المدنية ، نحو صناديق الأمانات فى محطة قطار العاصمة (كشمير) ، وهما يتلفَّتان حولهما فى حذر ، خشية أن يكونا مراقبين .. وعلى بعد مترين خارج المحطَّة جلس (كورروش) ، داخل سيارة زرقاء فاخرة ، وهو يرتدى معطفًا من الفراء ، ويخفى عينيه خلف منظار أسود ، ويضع على رأسه قبَّعة بنِّية داكنة ، فى انتظار عودة رجليه ..

وفى المقعد الخلفى للسيارة ، جلس كلبان يزمجران فى صوت مكتوم ، والشراسة تبدو فى ملامحهما ، فهما من النوع المدرَّب على القتل بمجرَّد الإشارة ..

ووصل الرجلان إلى الصندوق رقم (ثمانية) ، ووقف أحدهما يرقب المكان فى حذر ، وسبَّابته على زِناد مسدسه ، الذى يخفيه خلف معطفه ، فى حين أخذ الآخر يعالج الصندوق بآلة صغيرة ، ثم لم يلبث أن فتحه ، ورأى داخله علبة صغيرة ،

أسرع يفتحها ، ثم برقت عيناه بمزيج من الفرحة والظفر والجشع ، وهو يقول :

ــ أخيرًا .. ها هى ذى الماسات .

هتف به زميله :

ــ التقط العلبة وهيَّا بنا ، قبل أن يداهمنا أحد .

لم يكد الرجل ينتزع العلبة من مكانها داخل الصندوق ، حتى دوَى صفير حاد متقطِّع .. فقد كانت العلبة تتصل بجهاز إنذار خاص ، يعمل فور زحزحتها من موقعها ..

وانطلق الرجلان يركضان نحو باب المحطة الخارجى ، ولكن الأرض انشقَّت فجأة عن عشرات من رجال الشُّرطة ، اندفعوا من كل صَوْب ، وهم ينذرون الرجلين بإطلاق النار ، مالم يتوقَّفا .. وأصابت رصاصات الشرطة أحدهما وهما يهرعان إلى السُّلَّم الخارجى ، فهوَى من فوقه ، فى حين عَبَرَ الآخر باب المحطة ، وانطلق نحو سيَّارة (كورروش) ، الذى أدار محرِّك سيارته فور رؤيته لرجله ، ولكن رصاصة من رصاصات الشرطة أصابت الرجل فى مقتل ، فسقط صريعًا ، وسقطت علبة الماسات ..

وهنا فتح (كورروش) باب السيارة الخلفى ، وأشار إلى

الماسات ، فقفز أحد الكلبين ، والتقط العلبة بأسنانه ، وعاد
إلى السيارة ، وقفز داخلها وهى تنطلق ..

وانطلقت الرصاصات دون جدوى على السيارة المحصّنة ،
التى انطلقت بأقصى سرعة ..

ولم تلبث أن اختفت فى أحد المنعطفات القريبة ..

لقد فاز الشيطان بالماسات ..

* * *

كان (ممدوح) و (رفعت) فى طريق العودة ، حينما اتصلت
بهما غرفة العمليات عَبْر لاسلكى الهليوكوبتر ، وأخبرهما
المسئولون بما حدث ، وأدلوا إليهما بأوصاف سيارة (كورروش) ،
وبالطريق الذى اتخذه فى فراره ، فطلب (ممدوح) من الطيّار
اتخاذ ذلك الطريق .. ولم تلبث سيارة (كورروش) أن لاحت
لهم ، فأمر (ممدوح) الطيّار بالتحليق فوقها ، وأخذ
(رفعت) يطلق نيران مدفعه الرشّاش عليها فى غزارة ، دون
جدوى ، حتى قال (ممدوح) :

ـــ كفَى يا (رفعت) .. من الواضح أنها محصّنة ضد
الرصاص .

ثم طلب من قائد الهليوكوبتر أن ينخفض بها ، بحيث تعلُو

السيارة تمامًا .. ولم يكد الرجل يطيع أوامره ، ويعلُو السيارة
ببضعة أمتار ، حتى فوجئ هو و (رفعت) بـ (ممدوح) يقفز
من الهليوكوبتر ، ويهبط فوق السيارة ، ويتشبّث بحوافّها فى قوة ..

وشعر (كورروش) بهبوط (ممدوح) فوق سيّارته ، وزاد
من سرعتها محاولًا الإطاحة به ولكن (ممدوح) تشبّث بها بكل
ما يملك من قوة .. وهنا اندفع (كورروش) داخل مربأ صغير ،
حجبه عن الهليوكوبتر ، ثم ضغط زرًّا صغيرًا ، انفتح على أثره
جدار المربأ ، ليسمح بعبور السيارة ، ثم أغلق خلفها .. وهنا
فتح (كورروش) باب سيارته ، وصاح فى كلبيه المتوحشين :

ـــ اهجم .. اقتل .

وقفز الكلبان فوق السيارة ، وتعلّقت عيونهما بـ (ممدوح) ،
وقد اشتعلت فى أعماقهما الوحشية الرغبة فى القتل .. وسفك
الدماء ..

* * *

أطلق (ممدوح) رصاص مسدسه على الكلب الأوّل ،
فأرداه قتيلًا على الفور .. ولكن الآخر انقضّ عليه من الخلف ،
وغرز أنيابه فى معصمه ، فسقط (ممدوح) ، وفقد مسدسه ..
وهنا انقضّ عليه الكلب مرّة أخرى ، وطرحه أرضًا ، وأخذ

يمزق ثيابه وجسده فى وحشية ، وهو يحاول النَّيل من عنقه ، و (ممدوح) يقاومه فى قوة ، محاولًا الإفلات من أنيابه الحادة .. أما (كوروش) فقد وقف بعيدًا ، يتطلَّع إلى ما يحدث فى رضًا ، ثم لم يلبث أن استدار ، وصعد سُلَّمًا معدنيًا فى هدوء ، واختفى فى حجرة فى نهايته ، وأوصد بابها خلفه ، وكأنما يوقن أن كلبه سينهى مهمته على أكمل وجه ..

وصارع (ممدوح) الكلب المتوحِّش بكل ما يملك من قوة وبأس ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بقواه تخور تدريجيًا ، وهنا تذكَّر تلك الثمرة التى يحتفظ بها من ثمار الجحيم ، فأسرع يلتقطها من جيبه ، واعتصرها بين سبَّابته وإبهامه ، ثم دفعها فى قوة داخل فم الكلب ، وهو يأمل أن يُحدث السُّم مفعوله فى سرعة ، قبل أن تخور قواه تمامًا ويعجز عن مقاومة الأنياب القاتلة ..

وقد كان ..

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى سرى السُّم فى عروق الكلب ، فتهاوى صريعًا ، وهو يرسل عواءً منكرًا ، إلى أن خمدت أنفاسه عند قدمى (ممدوح) .

ونهض (ممدوح) والتقط مسدسه ، غير عابئ بجراحه ، وصعد فى السُّلَّم المعدنى خلف (كوروش) ، ودفع باب

الحجرة فى هدوء ، فطالعه (كوروش) ، وهو يُوليه ظهره ، منهمكًا فى إخفاء الماسات الثلاث داخل جيب سرِّى فى حقيبته السوداء ، ثم لم يلبث أن اتجه نحو مرآة صغيرة ، ليستخدم أدوات تنكُّره لتبديل ملامحه ، وإخفاء شخصيته ..

وهنا قال (ممدوح) فى صرامة :

ـــ لقد انتهت اللُّعبة ، ووصلنا إلى آخر المطاف يا (كوروش) .

حدَّق (كوروش) لحظة فى صورة (ممدوح) ، المنعكسة على مرآته ، وتطلَّع إلى الدماء التى تملأ وجهه وجسده ، والمسدس الذى يحمله فى قبضته ، ثم لم يلبث أن التقط جسمًا صغيرًا من علبة أدوات تنكُّره ، وهو يلتفت ليواجهه ، قائلًا بابتسامته المخيفة :

ـــ اللُّعبة لم تنته بعد أيها المصرى .. (كوروش) لا ينتهى بهذه البساطة .

وفجأة .. ألقى ذلك الجسم ، الذى التقطه من علبته أرضًا فانفجر ، وتصاعدت منه أبخرة كثيفة حجبته عن (ممدوح) ، وأطلق ضحكته الشيطانية من خلف حجب الدُّخان ، وهو يقول :

ـــ تعالَ وخُذنى إن استطعت .

أدرك (ممدوح) أن ذلك الشيطان يُعِدّ له فخًا ولا ريب .

فأسرع يكشف ساقه ، والتقط مسدسه الصغير ، الذى يثبّته فوقها بشريط لاصق ، وأخفاه أسفل وسادة مخملية حمراء ، مستغلًا حجب الدخان الكثيفة ، ثم تقدَّم نحو الدخان فى بطء ، وهو يشهر مسدسه ..

وفجأة .. هوى جسم صلب حاد على مسدسه ، فأطاح به بعيدًا ، وارتفع الجسم ليعبُر فوق رأسه ، ويشقّ الهواء فى صرير قوى ..

وأدرك (ممدوح) طبيعة هذا الجسم ..

لقد كان سيفًا ضخمًا ، حادًّا ، قاتلًا ..

* * *

أطلق (كوروش) ضحكته الشيطانية مرة أخرى ، وقد بدت وكأنها تنبعث من أعماق الجحيم ، وأخذ يلوِّح بالسيف يمينًا ويسارًا فى قوة ، حتى كاد يصيب جسد (ممدوح) أكثر من مرة ..

وفجأة .. تخاذلت ساقا (ممدوح) ، ودبَّ الوهن فى جسده ، وتهاوى على ركبتيه أمام (كوروش) ، الذى عاد يطلق ضحكته الشيطانية ، وهو يقول :

ــ لقد سقطت فى الشَرَك ، الذى نصبته لك ، أيها المغامر الأحمق .. ذلك الدُخان ، الذى اقتحمته فى جرأة ، يحوى غازًا خاصًا ، يمتصّ قواك تدريجيًا .. ولقد حصَّنت نفسى منه بواسطة مرشَّح خاص فى أنفى .. ألم أقل لك إن (كوروش) لا يُهزم بهذه البساطة .

عاد يطلق ضحكته الشيطانية الساخرة ، فى حين شعر (ممدوح) بأطرافه ترتجف ، وضعفه يتزايد ، وصورة (كوروش) تهتز أمامه ، فى حين واصل هذا الأخير فى شماتة :

ــ والآن .. لم يعُد أمامى سوى شطر رأسك إلى نصفين بسيفى هذا ، قبل أن أرحل من هنا .

جاهد (ممدوح) ليزحف عَبْر سحب الدُخان ، وقواه تخور تدريجيًا ، فى حين استطرد (كوروش) فى لهجة مخيفة :

ــ نعم .. ازحف .. ازحف أيها المصرى .. لقد تسلَّل الغاز إلى رئتيك ، وسرى فى عروقك .. إنك لن تبتعد طويلًا .. ازحف فى لحظاتك الأخيرة عند قدمى (كوروش) .

كان (ممدوح) يزحف إلى حيث أخفى مسدسه ، ولقد بدت له المسافة ، على الرغم من قصرها ، وكأنها عشرات الكيلومترات ، وهو يواصل زحفه ، و (كوروش) يواصل ضحكاته الشيطانية ..

ولم يكد يصل إلى المقعد ، الذى أخفى مسدسه تحت وسادته ، حتى فوجئ بـ (كوروش) أمامه ، وهو يرفع سيفه الضخم بكلتا يديه ، ويهتف فى لهجة جنونية ، شامتة ، ساخرة ، وحشية :

ــ والآن أيها المصرى .. فلتلحق بالأغبياء إلى الجحيم .

وكان النَّصل الحادّ يلتمع بالتماعة الموت ..

* * *

كانت أمام (ممدوح) ثانية واحدة ..

ثانية جمع فيها كل ما تبقَّى من قوته ، والتقط مسدسه من أسفل الوسادة المخملية الحمراء ، وأطلق منه رصاصته الأخيرة ..

وجحظت عينا (كوروش) فى ذهول وألم وذُعر ، واختفت منها نظرات الثقة والزهو والتشفِّى ، وترنَّح لحظة ، واندفعت الدماء من ذلك الثقب فى جمجمته ، حيث استقرَّت رصاصة (ممدوح) ، ثم تهاوَى عند قدمى هذا الأخير جثة هامدة ..

وانتهت أسطورة شيطان (الكانتا) ..

وفى بطء وضعف ، انتزع (ممدوح) المرشَّح الخاص من أنف (كوروش) ، ووضعه فى أنفه ، واستلقى يلتقط أنفاسه ، ويستعيد قواه ..

ولم يكد (ممدوح) يشعر بدبيب العافية ، حتى نهض والتقط

علبــة الماســـــات ، من ذلك الجيب السِّرى فى حقيبــــة (كوروش) ، ثم غادر الغرفة ، وهبط السُّلَّم المعدنى ، وضغط الزِّرّ الموجود أمام الجدار السِّرِّى ..

وطالعته الوجوه المذهولة لرجال الشرطة والجيش ، الذين اكتظ بهم المرأب ، والذين حدَّقوا فى الجدار المتحرِّك فى دهشة ، واندفع من بينهم (رفعت) ، ليحتضن زميله ، هاتفًا فى جزع :

ــ (ممدوح) .. ماذا حدث ؟ .. ما هذه الدماء التى تغطى وجهك وجسدك ؟

غمغم (ممدوح) فى إعياء :

ــ هاكَ الماسات الثلاث .. وستجد (كوروش) قتيلًا فى الحجرة العلوية هناك .

هتف (رفعت) :

ــ يا إلٰهى !!

عاد (ممدوح) يغمغم فى ضعف :

ــ نعم يا (رفعت) .. لقد انتهى الأمر .. انتهت أسطورة شيطان (الكانتا) .

* * *

جوّل اللواء (مراد) ، والمقدّم (ممدوح) داخل المتحف الإسلامى المصرى ، بعد أسبوعين من هذه الأحداث ، بناءً على دعوة خاصة من مدير المتحف ، وتوقّفا بين جمهور المشاهدين، أمام ماسات (نور الشفق) ، وهمس (ممدوح) وهو يتأمّلها :

ـــ تُرى .. هل يعلم هؤلاء الزوّار كم تجشّمنا من مشاق لينعموا برؤية هذه الماسات ؟

ابتسم اللواء (مراد) ، وهو يقول :

ـــ عملنا هو ألّا يعلموا .

غمغم (ممدوح) :

ـــ كم أتمنّى لو أن أسطورة (نور الشفق) حقيقية ، فتمنح بلادنا المجد والقوة .

ربّت اللواء (مراد) على كتفه ، وهو يقول :

ـــ الرجال أمثالك هم من يمنحون بلادهم المجد والقوة .

غمغم (ممدوح) فى خجل :

ـــ إننى لا أستحق هذا يا سيادة اللواء .. لقد كنت أؤدى عملى .

أجابه اللواء (مراد) ، وهو يصحبه إلى الخارج :

ـــ كلنا يؤدى عمله يا (ممدوح) ، ولكن عملك من نوع خاص ، فهو عمل للأبطال وحدهم .

وغادرا المتحف فى هدوء ، دون أن يشعر بهما أحد ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

• ماسات الشيطان •

أدرك (ممدوح) أنه هالك لا محالة هذه المرَّة .. واستعدَّت حواسه كلها لاستقبال الموت ؛ لذا فقد اكتنفته دهشة عظيمة ، حينما تراخت يد الرجل فجأة ، وأفلتت خنجره ، ثم سقط فوقه بلا حراك ..

وتراجع (ممدوح) فى دهشة ، وهو يحدّق فى السهم الذى اخترق عنقه ، ونفذ من الناحية الأخرى .

٣١

المؤلف



أ . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة

المكتب رقم (١٩)

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

العدد القادم نبات الشر

مريكيا
ى سائر
الدول
لعربية
العالم